

آيات الله البينات ، وَحُجَّجُهُ الْبَالِغَاتُ فِي دَحْضِ أَعْظَمِ الشَّبَهَاتِ

لِبَيَانِ

أَعْظَمِ الشَّبَهَاتِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ وَالرَّدُ عَلَيْهَا

❖ بِأَيِّ شَيْءٍ نَبْدَأُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ؟

❖ وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أُمَّتِهِ قَبْلَ وَفَاتِهِ .

❖ الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ بِأَنَّ مَعْنَى اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ هُوَ الصَّلَاةُ دَاخِلَ الْقَبْرِ !

❖ شَبَهَةُ جَوَازِ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ أَخْذًا مِنْ قِصَّةِ الْفَتِيَّةِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ !

❖ الرَّدُّ عَلَى شَبَهَةِ وُجُودِ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ ،

وَجَعَلَ ذَلِكَ حُجَّةً فِي جَوَازِ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ .

❖ الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ اسْتِجَابَةَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ لِمَنْ دَعَاهُمْ !

❖ شَبَهَةُ الشَّفَاعَةِ .

❖ شَبَهَةُ التَّوَسُّلِ

❖ شَبَهَةُ وَجُوبِ الْكُفِّ عَمَّنْ قَالَ لِإِلَهِهِ إِلَّا اللَّهُ وَلَوْ عَمِلَ مَا عَمِلَ !

❖ شَبَهَةُ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ أَوْ عَدَمِ الْقَصْدِ فِي فِعْلِ الشَّرِكِ الْأَكْبَرِ

❖ شَبَهَةُ الْإِحْتِجَاجِ بِإِقْرَارِ الْعُلَمَاءِ لِلشَّرِكِ وَاتِّبَاعِهِمْ فِي ذَلِكَ .

❖ كَيْفَ نَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ وَنَبْذِ الشَّرِكَ ؟

❖ شَبَهَةُ الْإِتْكَالِ عَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ !

تَأْلِيفُ

د . خَالِدُ بْنُ مَفْلَحِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَامِدِ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد

فهذه مجموعة من الكلمات التي تتناول أهم أمور العقيدة ، بأسلوب يتناسب مع صاحب التعليم العالي ، والأمي الذي لا يكاد يقرأ أو يكتب ، لكي يتمكن كل من قرأها من فهم العقيدة الصحيحة وما يصادها ، ومن أجل أن تكون له حصنا يتحصن به ، ضد ما يلقي من الشبهات ، وقد أسميته (آيات الله البينات وحججه البالغات في دحض أعظم الشبهات) .

ومصادر هذه الكلمات كثيرة ، لكنها ارتكزت على المصادر التالية:

- كتاب كشف الشبهات للشيخ (المجدد) محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى
 - كتاب التوحيد =====
 - معظم شروح كتاب الوحيد لأئمة دعوة التوحيد من بلاد نجد
 - بعض الكتب لشيخ الإسلام بن تيمية وتلميذه بن القيم رحمهما الله تعالى
 - بعض الكتب للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى
 - بعض الكتب للشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى
 - بعض الرسائل الصغيرة في العقيدة من أهمها
 - كتاب تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى
- وقد جعلت فهرسا تفصيليا في نهاية هذا الكتاب لبيان موضوعاته. وقد قمت بتخريج الآيات القرآنية ، والأحاديث مع ذكر الحكم عليها من كتب التخريج.

وهذا الكتاب مكمل لكتاب (المنهاج السديد في بيان البدعة والشرك والتوحيد)
أسأل الله العظيم ، أن ينفع به ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، إنه سميع قريب مجيب الدعوات
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

خالد بن مفلح عبدالله آل حامد.

بسم الله الرحمن الرحيم

بأي شيء نبدأ في الدعوة إلى الله

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن ولا كان معه من إله الذي لا إله إلا هو ، ولا خالق غيره ، ولا رب سواه ، المستحق لجميع أنواع العبادة ، ولذا قضى أن لا نعبد إلا إياه ، ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير ، /وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق العلي الكبير، تعالى في إلهيته وربوبيته عن الشريك والوزير، وتقدس في أحديته وصمديته عن صاحبة والولد والوالد والولي والنصير، وتنزه في صفات كماله ونعوت جلاله عن الكفو والنظير، وعز في سلطان قهره وكمال قدرته عن المنازع والمغالb والمعين والمشير، وجل في بقائه وديموميته وغناه وقيوميته عن المطعم والمجير، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله البشير النذير، المرسل إلى الناس كافة بالملة الحنيفية والهدي المنير بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين وأنزل عليه كتابه المهمين والنور المبين والهدي المستبين والمنهج المستنير، والشرك مضطربة ناره، طائر شراره مرتفع غباره لا مغير له ولا نكير، فقام بتبليغ الرسالة حق القيام وجاهد في الله حق جهاده إعلاء لكلمة الله الملك العلام حتى جاء الحق وزهق الباطل وأدبر ليل الكفر والضلالة ، وانفجر الإيمان والإسلام ونشرت أعلام التوحيد وعلا بنيانه وأشرفت أنواره ونكست راية الشرك وانكسرت شوكته وخمدت ناره ورمى بناؤه بالدمدمة والتكسير والتدمير ،وعلى آله وصحبه شمس الهداية وأوعية العلم وأنصار الدين القويم وتابعيهم والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد

فكم قد سرى من تشييد الأبنية على القبور وتحسينها من مفاصد يُكي لها ، ومن ذلك اعتقاد الجهلة بها كاعتقاد الكفار بالأصنام ، بل ظنهم أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر فجعلوها مقصدا لطلب قضاء الحوائج ، وملجأ لنجاح المطالب ، ويسألون منها مايسأله العباد من ربهم ،

وشدوا الرحال إليها وتمسحوا بها واستغاثوا ، فإذا رأوها من بعيد وضعوا لها الجباه ، وقبلوا الأرض ، وكشفوا الرؤوس ، وارتفعت أصواتهم بالضجيج ، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج ، ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج فاستغاثوا بمن لا يبدي ولا يعيد ، حتى إذا دنوا منها ، صلوا عند القبر ركعتين ، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر كأجر من صلى إلى القبليتين .

تراهم حول القبر ركعا سجدا ، يبتغون فضلا من الميت ورضوانا ، وقد ملئوا أكفهم خيبة وخسرانا ، فلغير الله بل للشيطان ما يراق هناك من عبرات ، ويرتفع من الأصوات ، ويطلب من الميت من الحاجات ، ويسأل من تفريج الكربات ، ومعافاة أولي العاهات والبليات .

ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين ، تشبها له بالبيت الحرام ، ثم أخذوا في التقبيل والاستلام ، رأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام ، ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود ، والتي يعلم الله أنها لن تغفر كذلك بين يديه في السجود ، ثم أكملوا مناسك حج القبر ، بالتقصير والحلاق ، واستمتنعوا بخلافتهم من ذلك الوثاق ، إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق ، وقربوا لذلك الوثن القرايين ، فكانت صلاتهم ونسكهم وقرايبهم لغير الله رب العالمين ، وهو سبحانه يقول على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ١٣٣ لَا

شَرِيكَ لَهُ^ط وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ١٣٣ ﴿ الآيتان ١٦٢ ، ١٦٣ الأنعام

فيا من عرفت التوحيد ، وتبين لك ، أن هذه الأعمال ، من الشرك الأكبر بالله العظيم^١ والذي ، لا ينفع معه صلاة ولا حج ، ولا غيره من الأعمال ، إنه يجب عليك أن تدعوا الناس في بلدك إلى التوحيد ، ونبد الشرك ، وإعلان البراءة ، من تلك الأفعال كما فعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومن معه من المرسلين: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى

^١ - راجع المنهاج السديد في بيان الشرك والبدعة والتوحيد

تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ، إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٠٠﴾ الآية ٤ سورة الممتحنة.

وتبدأ بالأقرب فالأقرب ، فعمل البعض يكون له القريب ، من الأب أو الأم ، أو ممن هو دون ذلك ، واقع في الشرك الأكبر ، فعليك أن تقيم الحجة عليهم ، وتبين لهم ، أن هذه الأعمال من الشرك الأكبر بالله ، فإن أبوا ذلك ، وأصرروا واستكبروا ، فما عليك إلا البلاغ ، ولكن إن كانوا تحت يدك وسلطتك كالزوجة والولد فيجب عليك وجوبا ، إلزامهم بنبذ ذلك ، وإلا وجب عليك فراقهم ، إلا الأب والأم فإنك تصاحبهما معروفاً مع اعتقاد أنهما من أعداء الله تعالى . فلا يحل لك السكوت على ذلك ، فإن فعلت ، فإنك إذاً مثلهم .

ولقائل أن يقول ، يا أخي ، أنا واقع في حيرة ، أنت تقول إن هذه الأعمال شرك أكبر ، وعندنا من العلماء ، من يعرف هذه الأعمال ، ويقرها ، ولا ينكرها ، بل ، إنه يدعو إليها ويشجعها ، فكيف بي أنا الشخص العامي ، أو قليل العلم ، أقف أمام عشيرتي ، وقرابتي ، بأمر يقره العلماء المعتبرون في بلادنا ، كيف لي بحربهم ، وبأي سلاح أبارزهم ؟

فهاأنذا ، أعطيك السلاح ، لتحارب أعداء الله من المشركين وأعدائهم ، الذي يصرون على هذا الحنث العظيم ، تحاربهم بالحجة وبالذليل ، ولا يغرنك ، كهنة الوثنية ، وسدنة الشرك الأكبر ، فإن عبادة القبور ، تجارة رابحة مع الشيطان ، تدر على أعوانه الملايين ، فيضللون العوام ، بتحسين هذا الشرك الأكبر حتى أن أحدهم ، قد ألف كتابا ، سماه إحياء القبور ، بجواز اتخاذ المساجد على القبور ، وبله ، كيف يجرؤ؟ ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد تواتر عنه النهي الشديد ، والوعيد الأكيد ، لمن يتخذ القبور مساجد ، ومن ذلك:

١- قوله عليه الصلاة والسلام : {ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك} (١)

(١) - صحيح مسلم ج ١/ص ٣٧٧/ح ٥٣٢/ باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد

٢- وعن عائشة رضي الله عنها ، أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة ، رأيتها بالحبشة ، فيها تصاوير ، فذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح ، فمات ، بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك الصور ، فأولئك ، شرار الخلق عند الله يوم القيامة { (١)

ثم يأتي هؤلاء فيقولون بجواز اتخاذ القبور مساجد ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ، ثم يقيمون بها الموالد ، ويباركون بها تلك الطوام والهوام ، فاغتر بهم العوام فقادوهم إلى النار .

فإذا عرفت ما قلت لك ، معرفة قلب ، وعرفت ، الشرك بالله الذي قال الله فيه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ الآية ٤٨ النساء

وعرفت دين الله الذي بعث به الرسل من أولهم إلى آخرهم ، والذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه ، وعرفت ما أصبح غالبُ الناس فيه من الجهل بهذا ، أفادك فائدتين :

الأولى : الفرح بفضل الله وبرحمته كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ الآية ٥٨ يونس

والثانية: الخوف العظيم ، فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل ، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله ، كما جاء حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما

(١) - صحيح البخاري ج ١/ص ١٦٥/ح ٤١٧/باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وما يكره من الصلاة في القبور ؛ صحيح مسلم ج ١/ص ٣٧٥/ح ٥٢٨/باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد

يتبين فيها يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب }^(١) ، وفي لفظ: (إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفع الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوى بها في جهنم)^(٢)

فإذا عرفت ذلك ، حينئذ يعظم خوفك وحرصك ، على ما يخلصك من هذا وأمثاله .
ثم اعلم أن الله سبحانه ، من حكمته أنه لم يبعث نبيا بهذا التوحيد ، إلا جعل له أعداء ، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ ١١٢ الأنعام .

وقد يكون لأعداء التوحيد ، علوم كثيرة ، وكتب وحجج ، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ الآية ٨٣ غافر ، فإذا عرفت ذلك ، وعرفت أن الطريق إلى الله ، لا بد له من أعداء قاعدين عليه ، أهل فصاحة وعلم ، وحجج ، فالواجب عليك ، أن تعلم من دين الله ، ما يصير لك سلاحا ، تقاقل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم لربك عز وجل: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شكرك ^(٣) من الآية ١٧ الأعراف ولكن إذا أقبلت على الله ، وأصغيت إلى حجج الله ، وبياناته ، فلا تحف ولا تحزن ، إن كيد الشيطان كان ضعيفا ، فالعامي من الموحدين ، يغلب ألفا من علماء هؤلاء المشركين كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ الآية ١٧٣ الصافات ، فجندهم الله هم الغالبون ، بالحجة واللسان ، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان ، وإنما الخوف على الموحد ، الذي يسلك

(١) - صحيح البخاري ج ٥/ص ٢٣٧٧/ح ٦١١٢/باب حفظ اللسان ؛ صحيح مسلم ج ٤/ص ٢٢٩٠/ح ٢٩٨٨/باب التكلم

بالكلمة يهوى بها في النار ، وفي نسخة باب حفظ اللسان ، واللفظ لمسلم

(٢) - صحيح البخاري ج ٥/ص ٢٣٧٧/ح ٦١١٣/باب حفظ اللسان

الطريق ، وليس معه سلاح ، وقد من الله علينا بكتابه ، الذي جعله تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ،

فلا يأتي صاحب باطل ، بحجة ، إلا وفي القرآن ما ينقضها ، ويبين بطلانها ، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ الآية ٣٣ الفرقان

وقبل ، أن تدعوا أحداً لنبذ الشرك بالله ، فلا بد أن تستحضر أموراً من أهمها :

الأمر الأول : إنه من أعظم العبث ، ومن أعظم الحمق ، أن تبدأ في دعوتك لهؤلاء المشركين بالدعوة إلى صلة الأرحام ، أو دعوتهم إلى المحافظة على الصلوات ، أو دعوتهم إلى الزكاة ، فإنك إن ابتدأت معهم بذلك ، كان فعلك هذا عبثاً ، ومضيعة للوقت والجهد ، أتدري لماذا ؟ لأن من يقع في الشرك الأكبر لا ينتفع بأي عمل صالح يعمل به. فدعوة المشرك بالله إلى مثل تلك الأعمال كمن يعالج شخصاً قد قطع رأسه ، فكيف ينتفع هذا بالعلاج ؟

إذاً فإن أول شيء تدعو إليه هو كلمة التوحيد ، ونبذ الشرك بالله ، وقد جاء في صحيح البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً رضي الله تعالى عنه إلى اليمن قال له : (ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم) (١)

وجه الاستدلال من الحديث :

أنه أمره أن يبدأ معهم بالدعوة إلى التوحيد قبل أي شيء آخر .

(١) - من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، صحيح البخاري ج ٢ / ص ٥٠٥ / ح ١٣٣١ / باب وجوب الزكاة ، صحيح مسلم ج ١ / ص ٥٠ / ١٩ / باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام

الأمر الثاني: أن تعلم ، بأن التوحيد هو أفراد الله سبحانه بالعبادة ، وهو دين الرسل ، الذي أرسلهم الله به إلى عباده ، فأولهم نوح عليه السلام ، أرسله الله إلى قومه ، لما غلوا في الصالحين ودا وسواع ويغوث ويعوق ونسرا ، وآخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذي كسر صور الصالحين ، أرسله الله ، إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرا ، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات ، وسائط بينهم وبين الله تعالى ، يقولون نريد منهم التقرب إلى الله تعالى ، ونريد شفاعتهم عنده ، مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس من الصالحين ، بل تعدى الأمر ذلك ، فجعلوا لبعض الصالحين أصناما ، وصورا ، تقوم مقامهم حتى عبدت من دون الله ، فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، ليبين لهم دين إبراهيم ، ويخبرهم أن هذا التقرب ، والاعتقاد ، محض حق الله تعالى لا يصلح منه شيء ، لا لملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، فضلا عن غيرهما ،

وإلا فهؤلاء المشركون ، يشهدون بأن الله هو الخالق وحده ، لا شريك له ، وأنه لا يخلق ، ولا يرزق إلا هو ، ولا يحيي ولا يميت إلا هو ، ولا يدبر الأمر إلا هو ، وأن جميع السموات السبع ، ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيهن ، كلهم عبيده ، وتحت تصرفه .

فإذا أردت الدليل ، على أن هؤلاء المشركين ، الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يشهدون بهذا ، فاقرا قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ

وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ

اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٦﴾ الآية ٣١ يونس . وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٥﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٦﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ

وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ

شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِي تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

﴿ الآيات ٨٤-٨٩ المؤمنون إلى غير ذلك من الآيات الدالات على أنهم يقولون بهذا كله ، ومع

ذلك فإنه لم يدخلهم في التوحيد، الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبذلك تعلم أن التوحيد الذي جحدوه، هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد .

الأمر الثالث: لا بد أن تعلم ، بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قاتلهم على توحيد العبادة ، وإخلاص العبادة لله وحده ، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝١٨ ﴾ الآية ١٨ الجن ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم ليكون الدين كله لله، والذبح كله لله ، والنذر كله لله ، والاستغاثة كلها لله ، ولتكون جميع أنواع العبادة كلها لله وحده .

الأمر الرابع: لا بد أن تستحضر دوماً بأن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام ، وأن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء بالدعاء والذبح والنذر ، يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله تعالى بهم ، وأن فعلهم هذا هو الذي أحل دماءهم وأموالهم .

فإذا فهمت ذلك جيداً ، عرفت حينئذ التوحيد ، الذي دعت إليه الرسل ، وأبى عن الإقرار به ، المشركون ، وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله ، فإن الإله عند المشركين الأوثان ، هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور ، من الدعاء ، والذبح ، والنذر ، وغيرها من أنواع العبادة ، سواء كان ملكاً ، أو نبياً ، أو ولياً ، أو شجرة ، أو قبراً ، أو جنياً .

فهم لا يعتقدون بأن الإله هو الخالق الرزاق المدبر ، فإنهم يقرون أن ذلك لله وحده ، كما قدمت لك ، وإنما يعنون بالإله ما يعنيه المشركون في زماننا بلفظ السيد ، والولي ، أو الذي فيه سر ، فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى كلمة التوحيد ، وهي لا إله إلا الله ، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها ، والكفار الجهلة من المشركين الأوثان ، يعلمون أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم ، بهذه الكلمة هو ، أفراد الله بتلك العبادات التي تصرف لغيره ، والكفر بما يعبد من دونه ، والبراءة منه، ولذا فإنه لما قال لهم قولوا لا إله إلا الله ، قالوا: ﴿ أَجْعَلُ الْأَهْلَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ۝١٩ ﴾ الآية ٥ ص .

فإذا عرفت ، أن جهال الكفار ، يعرفون ذلك ، فالعجب ، كلُّ العجب ، ممن يدَّعي الإسلام ، وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ، ما عرفه جهال الكفار ، بل يظن أن ذلك ، هو التلفظ بحروفها ، من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني ، والحادق منهم ، يظن أن معناها ، لا يخلق ، ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمر إلا الله ، وهذا المعنى لم ينكره كفار المشركين الأوائل بل هم يقرون به ، فهأنت ترى أن الكفار السابقين يعلمون معنى لا إله إلا الله أكثر مما يعلمه هؤلاء .

فكيف ترجو الخير من رجل ، جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله ؟
وفيما يأتي ، سوف يكون الحديث ، عن أعظم ، ما يتمسك به سدنة الوثنية ، وقطاع الطرق إلى الله ، حتى صاروا كأخبار اليهود الذين قال الله فيهم : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُنَ الْأَسْنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِيَتَحَسَّبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ الآية ٧٨ آل عمران ، وسوف ترى بإذن الله تعالى ، جند الباطل ، زاهقا ، مجندلا ، بحججه الداحضة ، أمام حجج الحق ، ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ الآية ٨١ الإسراء .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمته

الحمد لله الذي اصطفى لصفوته من عباده عصابة الموحدين ، ووثقهم من أسبابه بعروته الوثقى وحبلة المتين فلم يزالوا للحق ناظرين ، وبه ظاهرين ، ولله ولسوله ناصرين ، وللباطل وأهله دامغين ، إلى أن انفجر فجر الإيمان وأشرق ضوءه للعالمين ، وخسف قمر البهتان ، وأضحى كوكبه من الآفلين ، ذلك صنع الذي أتقن كل شيء ، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ، أحمدته على ما أولى من مننه ، وأسبغ من جزيل نعمه ، حمدا تكل عن حصره ألسنة الحاصرين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة مبوئة لقائلها جنة الفوز والعقبى في يوم الدين ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله إلى الثقلين أجمعين ، فأوضح بنوره سبل السالكين ، وشاد بهدأيته أركان الدين ، صلى الله عليه وعلى آله أجمعين

أما بعد

فتعال معي ، نقف خمس وقفات ، مع الأيام الخمسة الأخيرة من أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحياة ، لننظر بم أوصى أمته

الوقفة الأولى:

ففي حينها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعاني شدة المرض ، واستعار الحمى في البدن النبوي الشريف ، ولكن هم أمته ، وهم رسالته ، وهم التوحيد الذي بعث به ، بقي حيا في قلبه ، لم يضعف يوم ضعف بدنه ، صلوات الله وسلامه عليه ، أنهكت الحمى البدن الطاهر ، واستعر ضرامها عليه ، ولكنه اهتم بأمر عظيم ، اهتم له ، وحفل به ، فأمر أن يؤتى له بالماء من سبع آبار شتى ، وإذا بالقرب تفاض على البدن النبوي ، تبرد لظى الحمى ، وتطفئ استعارها ، حتى إذا أحس رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من عافية ، ونشوة من نشاط ، خرج يتحامل على جسد واه يهادى بين رجلين ، تخط قدماه في الأرض ، حتى أجلس على منبره صلى الله عليه وسلم ، وجلس أصحابه

حواله ، تطيف به قلوبهم ، وتحفه أرواحهم ، وتشخص إليه أبصارهم ، فحدثهم ووصاهم ، وهياهم لما سيحل بهم عند فراقه لهم ، عهد إليهم بأمور عظام وقضايا جسام ، فكان مما قال: (ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك) (١)

ثم أنزل صلى الله عليه وسلم من منبره ، فكانت آخر مرة رئي صلى الله عليه وسلم جالسا .

الوقف الثانية:

عاد صلى الله عليه وسلم إلى بيته واهن الجسد منهك القوى ، يعاني ألم المرض وشدته ، ولظى الحمى ووقدتها ، وإذا القرب وإن كثرت فلن تجدي وإن صبت عليه ، وإذا الجسد الشريف لن يقوى أن يخرج إلى الناس ولو حمل إليهم حملا ، فماذا قال صلوات الله عليه وسلامه عليه ، قال : أدخلوا علي أصحابي ، فدخل الصحابة رضوان الله عليهم ، عليه ، فلم طلب دخولهم عليه ؟ ولم دعوا ؟ ومالعهد الذي سيعهد إليهم ؟ ومالوصية التي سيوصون بها ؟

استمع وأحضر سمعك ، إلى ما قال حبيبك وإمامك ونبيك صلى الله عليه وسلم ، لقد قال لأصحابه عندما دخلوا عليه: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) (٢)

(١) - صحيح مسلم ج ١/ص ٣٧٧/ح ٥٣٢/ باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد

(٢) - صحيح البخاري ج ١/ص ٤٦٨/ح ١٣٢٤/ باب ما جاء في قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ صحيح مسلم ج ١/ص ٣٧٦/ح ٥٢٩/ باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد

الوقفه الثالثة:

لما كان مرض النبي صلى الله عليه وسلم تذاكر بعض نساء كنيسة بأرض الحبشة وقد كانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة فذكرن من حسنهما ، وتصاويرها ، تقول عائشة رضي الله عنها : (أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة ، رأيتها بالحبشة ، فيها تصاوير ، فذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح ، فمات ، بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور ، فأولئك ، شرار الخلق عند الله يوم القيامة) (١)

الوقفه الرابعة:

إنهزمت العافية في البدن الشريف ، ونظر العباس رضي الله عنه وهو الذي يعرف وجوه بني هاشم عند الموت ، فعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ميت في مرضه ذلك ، فذهب إلى علي رضي الله عنه وقال له يا علي انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كان لنا من الأمر شيء وإلا أوصى بنا إلى الناس ، قال علي رضي الله عنه فدخلنا عليه صلى الله عليه وسلم فإذا هو بأبي وأمي وقد اشتد به المرض أشده ، فإذا هو قد أغمى عليه صلوات الله وسلامه عليه ، فوقف علي والعباس ينتظران إفاقته ، فلما أفاق الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كان أول ما قال أن قال: (لعن الله اليهود اتخذوا قبور الأنبياء مساجد ، لعن الله اليهود اتخذوا قبور الأنبياء مساجد ، لعن الله اليهود اتخذوا قبور الأنبياء مساجد ، يرددونها ثلاثاً) ، قال علي فلما رأينا مابه خرجنا ولم نسأله عن شيء (٢).

(١) - صحيح البخاري ج ١/ص ١٦٥/ح ٤١٧/باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وما يكره من الصلاة في القبور؛ صحيح مسلم ج ١/ص ٣٧٥/ح ٥٢٨/باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد

(٢) - الطبقات الكبرى للزهري ج ٤/ص ٢٨ ، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢/ص ٤٢٦ ، فتح الباري ج ٨/ص ١٤٣

لقد كان صلى الله عليه وسلم يحمل هما لأخطر قضية مرت على تاريخ البشرية ، وهي قضية التوحيد ، وصيانتة ، وتجريده لله رب العالمين .

الوقفه الخامسة:

الموقف الخامس : عندما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ، وتهياً للحاق بالرفيق الأعلى ، فحشرج الصدر، وغرغر الحلق ، وتهياً لفراق الدنيا ، وفي هذه الشدة الشديدة ، والكربة العظيمة، كان صلى الله عليه وسلم يغطي وجهه المنور المبارك ، بطرف خميصة تقول عائشة رضي الله عنها : (لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا) ^(١) قالت عائشة- رضي الله عنها- وهي عنده ، وأعرف الناس به وبمراده ، قالت يحذر ما صنعوا هذه هي وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته ، في هذه الأيام الحاسمة والأوقات الحرجة الشديدة ، هذه هي وصية المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهذا عهده وميثاقه إلى أمته وصل إلينا بأحاديث صحاح صراح بلغت حد التواتر ، فهل بيان أبين من هذا ؟ وهل بلاغ أبلغ من هذا ؟ أما المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فقد بلغ وأبلغ ، وأبان وبين . لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ، ثم مرت عقود ، ومضت عهود ، فإذا أكثر أمة محمد صلى الله عليه وسلم تنقض ميثاقه ، وتنكث بعهده ، وإذا بالمساجد تشاد على القبور ، وإذا القبور تأوي إلى المساجد ، وتناثرت المساجد القبورية في أنحاء العالم الإسلامي من شرق شرقه ، إلى غرب غربه ، فلا يكاد يوجد بلد من بلاد المسلمين إلا وفيه قبر أدخل إلى مسجد أو مسجد شيد على قبر ، فتتساءل بحسرة كيف آل الأمر إلى هذه الحال بعد كل هذا البيان والوضوح والتحذير ؟

(١) - صحيح البخاري ج ١/ص ١٦٨/ح ٤٢٥/باب الصلاة في البيعة ؛ صحيح مسلم ج ١/ص ٣٧٧/ح ٥٣١/باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد

شبهات الذين اتخذوا القبور مساجد والرد عليها

عندما تنظر في الحجج والشبه التي يتعلق بها المشركون قديما وحديثا ، تقول لنفسك ياسبحان الله ، الحجة واحدة منذ أن بُعث محمد صلى الله عليه وسلم ، وحتى الآن ، وبعد كل هذا البيان ، وكل هذا البلاغ ، وكل هذا الجهد ، وبعد كل هذا الوضوح في المنهج ، وكل هذا الضياء ، بعد كل ذلك ، لم يزل الشيطان يلعب بابن آدم ، وبطريقة واحدة ، لم تتغير بعد كل هذا الزمان والحديث معهم سيطول ، ولذا سوف يكون الحديث عن هذا الموضوع في حلقات خمس تأتي فيها على شبيهم وحججهم فندحضها بإذن الله ، ولتكون لمن أراد سلاحا يقاتل به هؤلاء المشركين ، فهاكم الحلقة الأولى منها ، ولنبدأ ببنيانهم من القواعد فنخر عليهم السقف من فوقهم .

الشبهة الأولى: قبر الرسول عليه الصلاة والسلام

قالوا إن القول بإبطال الصلاة إلى القبر أو في المقبرة ، يلزم منه إبطال صلاة كل من صلى في المسجد النبوي الشريف ، وهذا مخالف لإجماع المسلمين على جواز الصلاة في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام رغم وجود القبر فيه ، وقد مضى على ذلك مئات السنين ولم ينكر . ولو كان ممنوعا لما أقره المسلمون عبر مئات السنين .

وهذه الشبهة هي أكبر شبيهم ، وهي وسيلتهم الكبرى لتسويغ هذا المنكر العظيم وتهوين شأنه أمام العامة . والجواب عن هذه الشبهة بوجوه منها :

الوجه الأول: أن آفة أهل الزيغ والضلال ، قديما وحديثا أنهم يأخذون من الأدلة ما يوافق أهواءهم ، ويتركون الأدلة التي تعارض ذلك ، فيتركون الأمر البين الواضح ويذهبون إلى المتشابه الذي يحتمل ، فالقرآن منه آيات محكمات ، واضحات بينات ، ومنه آيات متشابهات ، وقد جاء في الصحيحين

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧٦﴾ ثم قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم" (١)

الوجه الثاني: أن اتخاذ القبور مساجد قد دل على تحريمه إجماع الصحابة، والسنة، والمعقول فأما الإجماع:

فقد تواتر النقل عن الصحابة رضي الله عنهم في النهي عن اتخاذ القبور مساجد أو الصلاة إليها، ومنهم عمر ابن الخطاب، علي ابن أبي طالب، وعائشة، وأنس، وأبو هريرة، وابن عباس، وجندب ابن جنادة، وأبو مرثد وغيرهم من الصحابة ولم يعرف لهم مخالف في ذلك (٢).
ومن السنة:

- ١- قوله عليه الصلاة والسلام: {ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك} (٣).
- ٢- وعن عائشة رضي الله عنها، أن أم حبيبة، وأم سلمة ذكرتا كنيسة، رأيتها بالحبشة، فيها تصاوير، فذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح

(١) صحيح البخاري ج ٤/ص ١٦٥٥/ر ٤٢٧٣؛ صحيح مسلم ج ٤/ص ٢٠٥٣/ر ٢٦٦٥

(٢) انظر المحلي ٢/٣٤٨-٣٤٩

(٣) صحيح مسلم ج ١/ص ٣٧٧/ح ٥٣٢/باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد

، فمات ، بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك الصور ، فأولئك ، شرار الخلق عند الله يوم القيامة { (١) .

٣- وعن عائشة وعبد الله بن عباس -رضي الله تعالى عنهم- قالوا : {لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا} (٢)

وجه الاستدلال من هذه الأحاديث :

أنه هذه الأحاديث صحيحة ، وصريحة في النهي عن اتخاذ القبور مساجد ، واتخاذها مساجد يكون بالصلاة عندها أو إليها.. والأصل في النهي هو التحريم.

٤- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : {لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها} (٣)

وجه الاستدلال : أنه قد نهى عن الصلاة إلى القبور ، والنهي للتحريم .

٥- وقوله عليه الصلاة والسلام: " اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبورا " (٤).

وجه الاستدلال : أن الأصل عدم الصلاة في القبور ؛ لأنه جعل البيت الذي لا يصلى فيه كالمقبرة.

٦- وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: {الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام} (٥).

(١) - صحيح البخاري ج ١/ص ١٦٥/ح ٤١٧/باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وما يكره من الصلاة في القبور ؛ صحيح مسلم ج ١/ص ٣٧٥/ح ٥٢٨/باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد

(٢) - صحيح البخاري ج ١/ص ١٦٨/ح ٤٢٥/باب الصلاة في البيعة ؛ صحيح مسلم ج ١/ص ٣٧٧/ح ٥٣١/باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد

(٣) - من حديث أبي مرثد الغنوي رضي الله تعالى عنه ، صحيح مسلم ج ٢/ص ٦٦٨/ح ٩٧٢/باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه

(٤) - من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، صحيح البخاري ج ١/ص ١٦٦/ح ٤٢٢/باب كراهية الصلاة في المقابر ؛ صحيح مسلم ج ١/ص ٥٣٨/ح ٧٧٧/باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد

(٥) - من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، صحيح ابن خزيمة ج ٢/ص ٧/٧٩١/باب الزجر عن الصلاة في المقبرة والحمام ؛ صحيح ابن حبان ج ٦/ص ٩٢/ح ٢٣٢١؛ سنن ابن ماجه ج ١/ص ٤٦٦/ح ٧٤٥/باب المواضع التي تكره فيها

٧- وعن ابن عمر-رضي الله تعالى عنهما- { أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلى في سبعة مواطن في المزبلة والمجزرة والمقبرة وقارعة الطريق وفي الحمام وفي معادن الإبل وفوق ظهر بيت الله } (١)

وجه الاستدلال: أن القبور لاتصح أن تكون موضعا للصلاة ، وهو المطلوب.

ومن المعقول :

- ١- لأن النهي يقتضي فساد المنهي عنه .
- ٢- ولأن اتخاذ القبور مساجد وسيلة للوقوع في الشرك الأكبر والوسيلة إلى محرم محرمة.
- ٣- ولأن الواقع يشهد بأن القبور التي قد بنيت عليها المساجد ، أو اتخذت مساجد ، قد صارت أوثانا تعبد من دون الله .

الوجه الثالث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدفن في المسجد وإنما دفن في بيته ؛ ولذا قالت عائشة رضي الله عنها عندما ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم { لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ثم قالت فلولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ

الصلاة ؛ سنن البيهقي الكبرى ج ٢/ص ٤٣٤/ح ٤٠٧٠ /باب ما جاء في النهي عن الصلاة في المقبرة والحمام ؛ سنن الترمذي ج ٢/ص ١٣١/ح ٣١٧ /باب ما جاء أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام ؛ سنن الدارمي ج ١/ص ٣٧٥/ح ١٣٩٠؛ مسند أبي يعلى ج ٢/ص ٥٠٣/ح ١٣٥٠؛ مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٣/ص ٨٣/ح ١١٨٠١؛ قال في تحفة المحتاج ج ١/ص ٣٧٤: "رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ، وروى مسندا و مرسلا ، قال الترمذي وكأن الثاني أثبت وأصح ، وصحح الأول ابن حبان والحاكم من طرق على شرط الشيخين" ؛ وقال في تلخيص الحبير ج ١/ص ٢٧٧

: "واختلف في وصله وإرساله ... قلت وله شواهد منها حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا نهى عن الصلاة في المقبرة أخرجه بن حبان ومنها حديث علي إن حبي نهاني أن أصلي في المقبرة أخرجه أبو داود "

(١) - سنن البيهقي الكبرى ج ٢/ص ٣٢٩/ح ٣٦١٣/باب النهي عن الصلاة على ظهر الكعبة ؛ سنن الترمذي ج ٢/ص ١٧٧/ح ٣٤٦ /باب ما جاء في كراهية ما يصلي إليه وفيه ، وقال : " ليس بذاك القوي " ؛ مسند عبد بن حميد ج ١/ص ٢٤٦/ح ٧٦٥؛ وقال الشوكاني في نيل الأوطار ج ٢/ص ١٤٢: "الحديث في إسناده الترمذي زيد بن جبيرة وهو ضعيف كما قال الترمذي ، ... وقال الحافظ في التلخيص إنه ضعيف جدا... وصحح الحديث بن السكن وإمام الحرمين ، وقد تقدم الكلام في المقبرة والحمام وأعطان الإبل وما فيها من الأحاديث الصحيحة"

مسجداً { ^(١) قال في فتح الباري في معنى أبرز قبره : أي كشف قبره ولم يتخذ عليه الحائل ، والمراد الدفن خارج بيته أه ^(٢) .

الوجه الرابع: أن عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه عندما قام بتوسعة المسجد ، لم يتعرض للحجرة ، وقال فأما حجر أمهات المؤمنين فلا سبيل إليها ^(٣) وهكذا عمل الصحابة من بعده ، فهو إجماع بينهم ، وإجماع الصحابة هو الإجماع المعبر .

الوجه الخامس: أن القبر أدخل إلى المسجد في زمن الوليد بن عبد الملك ، بعد موت عامة الصحابة المتواجدين في المدينة ، وكان من آخرهم موتا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، رضي الله تعالى عنه والذي توفي في سنة ثمان وسبعين ^(٤) ، وسهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه الذي توفي في سنة ثمان وثمانين على خلاف في تاريخ وفاته ^(٥) فقام الوليد بن عبد الملك في

^(١) - صحيح البخاري ج ١/ص ٤٦٨/ح ١٣٢٤/باب ما جاء في قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ صحيح مسلم ج ١/ص ٣٧٦/ح ٥٢٩/باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد

^(٢) - انظر فتح الباري ج ٣/ص ٢٠٠ ، ونص قوله: "أي لكشف قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتخذ عليه الحائل والمراد الدفن خارج بيته ، وهذا قائله عائشة قبل أن يوسع المسجد النبوي ، ولهذا لما وسع المسجد جعلت حجرتها مثلثة الشكل محددة حتى لا يتأتى لأحد أن يصلي إلى جهة القبر مع استقبال القبلة"

^(٣) - تاريخ مدينة دمشق ج ٢٦/ص ٣٧٠ ؛ الدر المنثور ج ٥/ص ٢٣٠؛ الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤/ص ٢١

^(٤) - قال في الاستيعاب: "توفي سنة أربع وسبعين وقيل سنة ثمان وسبعين وقيل سنة سبع وسبعين بالمدينة... وتوفي وهو ابن أربع وتسعين سنة" ، وقال بن حجر في الإصابة: "قال يحيى بن بكير وغيره مات جابر سنة ثمان وسبعين ، وقال علي بن المديني مات جابر بعد أن عمر فأوصى ألا يصلي عليه الحجاج قلت وهذا موافق لقول الهيثم بن عدي إنه مات سنة أربع وسبعين ، وفي الطبري وتاريخ البخاري ما يشهد له وهو أن الحجاج شهد جنازته ويقال مات سنة ثلاث وسبعين ويقال إنه عاش أربعاً وتسعين سنة" انظر الإصابة في تمييز الصحابة ج ١/ص ٤٣٤/ت ١٠٢٧ ؛ الاستيعاب ج ١/ص ٢١٩/ت ٢٨٦

^(٥) - هو سهل بن سعد بن مالك بن ساعدة الأنصاري الساعدي من مشاهير الصحابة يقال كان اسمه حزنا فغيره النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الزهري مات النبي صلى الله عليه وسلم وهو بن خمس عشرة سنة ، وقد اختلف في وقت وفاة سهل بن سعد ، قال في الاستيعاب: "... فقليل توفي سنة ثمان وثمانين وهو ابن ست وتسعين سنة ، وقيل توفي سنة إحدى وتسعين وقد بلغ مائة سنة ، ويقال إنه آخر من بقي بالمدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم" ، وقال بن حجر في الإصابة:

سنة ثمان وثمانين للهجرة بإدخال القبر في المسجد ^(١)، وفعله ليس حجة ، فلا يجوز لمسلم بعد أن عرف هذه الحقيقة أن يحتج بما وقع بعد الصحابة لأنه مخالف للأحاديث الصحيحة ومخالف لما فهمه الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

الوجه السادس : أن العلماء في زمن الوليد بن عبد الملك اعترضوا على ذلك وقد نقل اعتراضهم والي المدينة حينذاك : عمر ابن عبد العزيز .. فلم يأبه الوليد بن عبد الملك لذلك ، فأدخله في المسجد بقوة السلطان وقهره، بل إن ابن كثير نقل أنهم بكوا عند هدم تلك الحجرات كالبكاء الذي حدث يوم أن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبناء عليه فلا يصح القول بأن هذا مجمع عليه. ^(٢)

الوجه السابع : أنهم عندما أدخلوا الحجرة التي فيها القبر في المسجد بسبب التوسعة ، فقد أخذوا الاحتياطات اللازمة لكي لا يكون القبر ظاهرا ، فقد أحيط بجدر تمنع من ظهوره في المسجد ، ثم بنو جدارين من ركني القبر وحرفوهما حتى التقيا من أجل أن لا يتمكن أحد من استقبال القبر ، وفي التوسعة الجديدة التي قامت بها الدولة السعودية ، أصبح الحاجز أكبر ، فلا يمكن لأحد استقبال القبر بحال من الأحوال ، وقد أحيط بجهاته كلها باستثناء الجهة التي يمر من عندها للسلام عليه ، عليه الصلاة والسلام وعلى صاحبيه رضي الله تعالى عنهما

الوجه الثامن : أن الدولة السعودية هيئت ، وعلى مدار الساعة من يقوم بمنع أي مظهر من مظاهر الشرك حول القبر من الدعاء والاستغاثة ونحو ذلك .

وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة مات سنة إحدى وتسعين وقيل قبل ذلك قال الواقدي عاش مائة سنة " انظر الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣/ص ٢٠٠/ت ٣٥٣٥ ، الاستيعاب ج ٢/ص ٦٦٤/ت ١٠٨٩

^(١) - انظر تاريخ البداية والنهاية لابن كثير ٩/٧٤/ الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي / ط مؤسسة التاريخ العربي / تحقيق / مكتب تحقيق التراث

^(٢) - انظر تاريخ البداية والنهاية لابن كثير ٩/٨٩-٩٠

الوجه التاسع : أن إدخال القبر داخل المسجد من قبل الوليد بن عبد الملك خطأ قطعاً ، وإزالة هذا الخطأ غير ممكنة ، إلا بنقل القبر من مكانه الذي هو فيه إلى مكان آخر ، وهو متعذر ؛ لما يترتب عليه من المفاسد الكبرى التي لا تخفى .

وإذا ترتب على إزالة المنكر منكر أكبر منه وجب تركه على حاله ، ويدل على هذا الأصل ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها ألم تري أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم فقلت يا رسول الله ألا تردها على قواعد إبراهيم قال لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت) ^(١)

وفي لفظ آخر (ولولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت وأن ألصق بابه بالأرض) ^(٢).

ثم قالوا : إننا لم نتخذ القبور مساجد ، فالقبر هو المكان الذي دفن فيه الميت ، وإنما جعلوا القبر قبراً ألحق به مسجد وحول القبر مقصورة أو سياج من خشب أو من حديد لكيلا يتخذ مسجداً ، وعلى هذا فنحن لم نتخذ القبور مساجداً .
أجيب عنه :

بأن رسول الله عليه الصلاة والسلام قد بين معنى اتخاذ القبر مسجداً بقوله : " إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة " ، إذا فاتخاذ القبر مسجداً هو أن تبني عليه مسجداً فتصلي في هذا المسجد – ولا فرق بين أن يكون القبر في وسط المسجد أو في أحد جوانبه ، ولا فرق بين كونه في قبلة الصلاة أو لا ، فما دامت أسوار المسجد تحيط به فقد تم اتخاذ مسجداً .
إذا فلا محيص لكم من أنكم قد اتخذتم القبور مساجد ، فأنتم واقعون فيما نهاكم الله ورسوله ، وأنتم من شرار الخلق عند الله يوم القيامة

(١) - صحيح البخاري ج ٢/ص ٥٧٣ / ح ١٥٠٦ / باب فضل مكة وبنائها ، صحيح مسلم ج ٢/ص ٩٦٨ / ح ١٣٣٣ / باب نقض الكعبة وبنائها

(٢) - صحيح البخاري ج ٢/ص ٥٧٣ / ح ١٥٠٧ / باب فضل مكة وبنائها

فيعرضون عليك بقولهم لقد جاء في الكتاب والسنة ما يدل على جواز اتخاذ القبور مساجد:

فمن الكتاب :

قوله تعالى في قصة الفتية: ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ (١)

وجه الاستدلال : فيه دليل على جواز اتخاذ القبور مساجد ولم يأتي دليل على ذم فعلهم هذا ، فدل على جوازه.

فيجاب عن ذلك بوجوه منها:

الوجه الأول : سلمنا لكم بأن شرع من قبلنا شرع لنا ، ولكن بشرط أن لا يوجد ما يدل على منعه في شرعنا ، ولقد جاءت الأدلة متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها تحذر وتنهاى عن هذا الفعل ، وكذا قد جاء في كتاب الله ما يدل على ذلك ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (٢) .

الوجه الثاني: لانسلم بوجه الاستدلال ؛ لأن ذلك جاء في سياق الإخبار عن الواقع ، فقد حصل النزاع كما في نص الآية ، فالفريق الأول قد اقترح أن يبنى عليهم بناء لسد الكهف ، وأن يوكل أمرهم إلى الله ، والفريق الآخر أراد أن يتخذ على قبورهم مسجد ، وقد كانت الغلبة فيه لأهل الشرك بسبب قوتهم ، وليس في ذلك إقرار بجواز فعلهم.

الوجه الثالث: هب أن ابنا من أبنائك استقبلك عند دخولك البيت بالسجود ، فسجد لك ، فتنكر عليه هذا الفعل ، فيقول لك ، فما معنى قوله تعالى في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَرَفَعَ أَبُوتَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ من الآية ١٠٠ يوسف ، فتجيبه يا بني هذا كان جائزا في دينهم ، أما ديننا فإنه قد جعل السجود عبادة لاتجوز إلا لله .

(١) - من الآية ٢١ سورة الكهف

(٢) - الآية ١٨ سورة الجن

فليس كل ما يذكره الله في كتابه من قصص الذين مضوا يعني أن نتأسى بأفعالهم ولو كانت مخالفة لهذا الدين الذي ارتضاه الله لنا ، ؛ لأن هذا دين ناسخ لجميع الأديان السابقة لا يقبل من أحد سواه.

وأدلتهم من السنة:

- ١- { أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على قبر منبوذ ، فصفهم وتقدم فكبر عليه أربعاً } (١)
- ٢- والحديث الآخر { أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد أو شاباً فققدتها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عنها أو عنه فقالوا مات قال أفلا كنتم آذنتموني قال فكأنهم صغروا أمرها أو أمره فقال دلوني على قبره فدلوه فصلى عليها ثم قال إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وإن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتي عليهم } (٢)

وجه الاستدلال: قالوا بأن هذه أدلة صحيحة وصريحة تدل على صحة الصلاة في المقبرة ، وإلى القبر .

فيجاب عن ذلك: بأن الصلاة المنهي عنها إلى القبر غير الصلاة التي على صاحب القبر ؛ فهذه صلاة الجنائز على الميت التي لا تختص بمكان ، بخلاف سائر الصلوات ؛ فإنها لم تشرع في القبور ولا إليها ؛ لأنها ذريعة إلى اتخاذها مساجد ، وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل

(١) - من رواية ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، صحيح البخاري ج ١/ص ٤٤٣/ح ١٢٥٦/باب الصفوف على الجنائز

(٢) - من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، صحيح البخاري ج ١/ص ١٧٦/ح ٤٤٨/باب الخدم للمسجد؛ صحيح مسلم ج ٢/ص ٦٥٩/ح ٩٥٦/باب الصلاة على القبر ، واللفظ لمسلم

ذلك ، فأين ما لعن فاعله وحذر منه وأخبر أن أهله شرار الخلق ... إلى ما فعله صلى الله عليه وسلم مرات كثيرة.

٣- ولقوله عليه الصلاة والسلام { : جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا } وفي لفظ { حيثما أدركتك الصلاة فصل والأرض لك مسجد } ^(١) . وفي لفظ { : أينما أدركتك الصلاة فصل ، فإنه مسجد } ^(٢) .

وجه الاستدلال : أنه قد جعل الأرض كلها مسجدا ، فيدخل في ذلك المقبرة ، والمسجد الذي بني على قبر .

فيجاب عن ذلك : بأن هذا من قبيل العام المخصوص ، والذي خص هذا العموم هي الأحاديث التي قدمنا والتي صرحت بالنهي عن الصلاة في المقبرة ، ونهت عن اتخاذ القبور مساجد ، وكانهني عن الصلاة في الحش ، والخاص يقدم على العام .

تنبيه على ثلاث مسائل أجاب عنها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى:

المسألة الأولى: ما حكم المسجد الذي فيه قبر؟

الجواب: يجب أن يهدم المسجد إذا كان القبر سابقا عليه ، بمعنى أن المسجد بني على القبر، وإن كان الميت قد دفن في المسجد بعد بنائه فيجب نبش القبر ونقله إلى المقبرة العامة.

المسألة الثانية: ما حكم الصلاة في المسجد الذي يوجد فيه قبر؟

الجواب : صلاته غير صحيحه ، وعليه بأن يعيد جميع صلواته التي صلاها في تلك المساجد. والقاعدة الشرعية أن النهي يقتضي الفساد ، فنحن نهينا مثلا عن الصلاة في المكان النجس ، فإذا صلى فيه أحد وهو يعلم نجاسته فصلاته لاتصح ، فمابالك بالصلاة في المساجد التي بنيت على

(١) - صحيح البخاري ج٣/ص١٢٦٠/ح٣٢٤٣/باب قول الله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب ؛ صحيح

مسلم ج١/ص٣٧٠/ح٥٢٠/كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، واللفظ للبخاري

(٢) - صحيح مسلم ج١/ص٣٧٠/ح٥٢٠/كتاب المساجد ومواضع الصلاة

القبور وقد تواتر النهي عن اتخاذها مساجد ، فلا شك أن الصلاة فيها أشد بطلانا من تلك الصلاة في المكان النجس .

المسألة الثالثة : فإن قائل قائل ، لا يوجد عندنا مسجد إلا وفيه قبر فهل أصلي في البيت ؟ والجواب عن ذلك : نعم صلّ في البيت إذا لم يوجد أحد غيرك ، أما إذا وجد من يدين بدين الإسلام معك ، فيجب عليكم ، أن تصلوا جماعة ، وإن أمكن إنشاء مسجد بحسب ما شرع الله فهو أفضل ، وإلا عليكم الصلاة جماعة ولو في الفضاء ، أو في بيت أحدكم (١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الشبهة الثانية : استجابة أصحاب القبور لمن يدعوهم !!

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، الحمد لله العليم الحكيم ، الغفور الرحيم ، العظيم الحليم ، الجواد الكريم ، الذي عم بربته فضله العميم ، ووسع خليفته إحسانه القديم ، وهدى صفوته إلى صراطه المستقيم ، ونهج شرعته على المنهج القويم ، ووسع كل شيء رحمة وعلما على الإجمال والتقسيم ، ودبر كل شيء قدرة وحكما بالتقدير والتعليم ، ووسع كرسیه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم ، أحمدده حمدا يكافئ نعمه ، ويوافي مزيد التكريم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالآيات والذكر الحكيم ، ففتح به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، وهدى به من الجهل الصميم ، صلى الله عليه وعلى آله أفضل صلاة وتسليم ، أما بعد

أيها الأخ الكريم

هانحن اليوم في نواصل السجال مع دعاة الشرك والضلالة

(١) - انظر مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن باز ٢٣٣/١٣ ، وانظر ٢٣٤ فما بعدها ، ٣٥٦/١٣ ،

فتقول لهم ليست قضيتنا الأساسية معكم ، هي في اتخاذ القبور مساجد فقط ، كلا ، بل إن القضية الكبرى هي: فيما يعمل عند تلك القبور من الأمور التي هي من الشرك الأكبر بالله من الدعاء والاستغاثة والنذر والذبح والطواف وغيرها من أنواع العبادة ، حتى صارت آلهة تعبد من دون الله ، فكيف تعبدون من دون الله ما لا ينفعكم ولا يضركم ؟ وإنما هم بشر .

فإذا بهم ينتهرونك ، ومن قال لك بأننا نعبدهم ، سبحانك ربنا هذا بهتان عظيم ، فإننا نصلي لله ، ونصوم لله ونزكي لله ونحج لله ،

فتقول لهم أستم تسألونهم تفريج الكربات ؟ أليسوا يستغاث بهم من دون الله ؟ أليست النذر تهدي إليهم ؟ أليست القرابين تنحر عند مشاهدهم ؟ فما هو الشرك ؟ أليس هو صرف شيء من العبادة لغير الله ؟ فكم من عبادة صرفتموها لهم ؟ بل إنكم قد فقتم شرك مشركي الجاهلية ، فأصبحتم تحبون آلهتكم من الأولياء والمشائخ والأنبياء أشد من حبكم لله .

وإذا بهم ينكرون وفي غيهم يترددون فيقولون لك : إنما أنتم مفترون ، فنحن لا نحبهم كحب الله ولا نسويهم بالله ، تعالى الله عن ذلك عما يقول الظالمون علوا كبيرا

هذا هو كلامهم ، ثم إذا رأيت ما يعمل عند تلك القبور ، وما يدور بينهم من أحاديث ، رأيت ما يخالف هذا الإنكار ، فهذا أنت تراهم يغضبون لآلهتهم من الأولياء المزعومين ، ويغضبون لحرمتهم إذا انتهكت ، أعظم مما يغضبون لله ، ويستبشرون بذكرهم ، وإذا ذكر عنهم ما ليس فيهم : من إغاثة اللهفات وكشف الكربات وقضاء الحاجات وأنهم الباب بين الله وبين عباده ، فإنك ترى المشرك يفرح ويسر ويحن قلبه ، وتهيج منه لواعج التعظيم والخضوع لهم والموالاتة ، وإذا ذكرت له الله وحده ، وجردت توحيده ، لحقته وحشة وضيق وحر ، ورماك بنقص الإلهية التي له ، وربما عاداك ، ولم تكن حجتهم إلا أن قالوا كما قال إخوانهم : عاب آلهتنا ، فقال هؤلاء : تنقصتم مشايخنا وأبواب حوائجنا إلى الله ، وهكذا قال النصارى لما قال الله عن عيسى عليه السلام أنه عبد ، فانظر إلى هذا التشابه بين قلوبهم حتى كأنهم قد تواصلوا به .

بل إن شرك هؤلاء قد غلب شرك مشركي الجاهلية ، فإن المشركين في الجاهلية إذا ركبوا الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ، أما هؤلاء فكلما اشتد الخطب

وادلهم الأمر ، ازداد تعلقهم بصاحب القبر/بل إن كثيرا من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه اليمين من جهة خصمه ، حلف بالله فاجرا ، فإذا قيل له بعد ذلك ، احلف بشيخك ، ومعتقدك الولي الفلاني ، تلعثم ، وتلكأ وأبى واعترف بالحق ، وهذا من أبين الأدلة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال بأن الله ثاني اثنين ، أو ثالث ثلاثة

ثم نكصوا على أعقابهم ، وارتدوا على أديبارهم ، فقالوا لك لقد ثبت لدينا بالواقع المحسوس ثبوت النفع والضرر من قبل هؤلاء الأموات فكم من أناس شفي مرضاهم وتحققت طلباتهم بسبب دعائهم للموتى ، وكم من أناس تم إلحاق الضرر بهم بسبب هؤلاء الموتى فكيف تريدون منا أن نكذب واقعا محسوسا نرى أثره بأعيننا .

هل رأيتم ضلالا أكثر من هذا ؟

فتقول لهم إليكم كلام أصدق القائلين ، كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بيده ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد :

فقد قال سبحانه عنكم وعن أسلافكم القدماء من المشركين : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ ، الآيتان ٥ ، ٦ الأحقاف

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ الآية ١٩٧ الأعراف

وقوله سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ ﴾

﴿ الآية ١٩٧ الأعراف

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ﴾ من الآية ١٤ الرعد.

وقوله سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ﴾ من الآية ٢٠ غافر.

وقوله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ^ع إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ^ط وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿ الآية ٧٣ الحج.

وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٢﴾ إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ^ط وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ^ع وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٣﴾ من الآيتين ١٢ ، ١٣ فاطر.

فليس هناك من بيان أبين ولا أو ضح من هذا البيان ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟
بل إن هؤلاء الموتى هم في أمس الحاجة إلى دعاء من زارهم ، فإن زيارة القبور شرعت لأمرين:

- ١- الأمر الأول هو الاعتبار وتذكر الموت.
 - ٢- والأمر الآخر هو الدعاء لأهل القبور والترحم عليهم .
- وقد جاء في صحيح مسلم في حديث طويل عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "فإن جبريل أتاني فقال إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم قالت قلت كيف أقول لهم يا رسول الله قال قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون" (١) ، وفي لفظ : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم للاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد) (٢)

وفي رواية في صحيح مسلم أيضا " السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله للاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية أسأل الله لنا ولكم العافية " (٣)

(١) - صحيح مسلم ج ٢/ص ٦٦٩/ح ٩٧٤/باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها

(٢) - صحيح مسلم ج ٢/ص ٦٦٩/ح ٩٧٤/باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها

(٣) - من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه ، صحيح مسلم ج ٢/ص ٦٧١/ح ٩٧٥ /

وجاء في صحيح مسلم أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له" (١)

فهؤلاء القوم عكسوا القضية ، فبدلا من زيارة القبور للاعتبار والدعاء للموتى والاستغفار لهم ، صاروا يدعونهم من دون الله وينذرون لهم ويذبحون لهم ويستغيثون بهم من دون الله .

فيقولون لك بقلوب عمي وآذان صم ، فماذا عن هذا الذي يحدث إذا ، فلوكانوا لا يضررون ولا ينفعون كما تقولون فماذا تفسرون هذا النفع الذي نراه محسوسا بحصول النفع من شفاء المريض ، أو حصول الرزق ، أو حصول الضرر، والإخبار بالمغيبات .

فتقول لهم نحن لم نقل ، بل الله الذي خلقنا هو الذي قال بأن هؤلاء لا ينفعون ولا يضررون وأنه لا أحد يعلم الغيب إلا الله

فهل تعلمون أشد كفرا وتكديبا من هؤلاء ؟ فما بال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا .

وصدق الله: إذا قال: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ طَهُم قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ

بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ

أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ الآية ١٧٩ الأعراف ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ

يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ آية ٤٤ الفرقان

فيا أيها الناس لا بد أن نعلم علم اليقين بأن الموتى كلهم من الأنبياء أو غيرهم لا يملكون هم

لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، فضلا على أن ينفعوا غيرهم أو يضرروه كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ ءَٰلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴿

من الآية ١٦ الرعد ، وكما قال سبحانه: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّا تَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ

(١) - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، صحيح مسلم ج ٣/ص ١٢٥٥/ح ١٦٣١/باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد

﴿مُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ ﴿٣﴾
الآية ٣ الفرقان.

فإذا مارأيت شيئاً أو سمعت أمراً يخالف هذا اليقين فاعلم أنه كذب لا شك فيه وأن الميت ليس له علاقة بهذا الذي حدث.

أما ما قد يحدث من الضرر والنفع الذي يزعمونه ، فاعلم أنه فتنة لهم وامتحان لهم بسبب ظلمهم وشركهم ، فقد يحصل أن يدعوا هؤلاء المشركون أصحاب هذه القبور الذين يزعمون أنهم أولياء ، ثم يجري قضاء الله وقدره ويحصل لهم المطلوب ، فيظنون أنه من الموتى ، مع أن هؤلاء الأموات لا يستطيع أحد منهم أن يوجد لهم شيئاً بنص القرآن وإجماع المسلمين ، ولكن الله فد يفتن العباد بتيسير أسباب المعصية ليلوهم كما ابتلى بني إسرائيل بتحريم الصيد يوم السبت ولا يأتيهم الصيد إلا فيه ، ولماذا ؟ ابتلاء من الله لهم كما بين سبحانه في قوله: ﴿ وَسَأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي

كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا
يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ ﴿١٦٣﴾ الآية ١٦٣ الأعراف،
فاليهود اختاروا المعصية فصادوا يوم السبت .

وقد ابتلى الصحابة بالصيد تناله أيديهم ورماحهم كما قال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُغُنَّكُمْ
اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن تَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ
ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٩٤﴾ الآية ٩٤ المائدة ، فمن اعتدى بعد الإنذار والتهديد فلا يلومن إلا
نفسه .

ومثله قوم طالوت ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ
فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمَهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْرَقَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ ﴿
من الآية ٢٤٩ البقرة، فأكثرهم شرب منه ولم يستجب له إلا القليل.

فهؤلاء المشركون الذين يدعون هذه القبور ثم يجري القضاء والقدر بحصول مادعوا به يكون هذا بلا شك ابتلاء من الله تعالى وامتحانا لهم كما قال تعالى: ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرَارِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ من الآية ٣٥ الأنبياء. ، ليرى هل نصدق الله في كلامه لنا بأنهم لا ينفعون ولا يضررون أولا.

وأما الإخبار بالمغيبات ، فهذا أمر لا يعلمه الأحياء فضلا عن الأموات ، أما إخبار الكهان وأهل التنجيم ، فليس من علم الغيب في شيء بل هو مجرد تخرص محض ، قد يصيب وقد يخطئ ، فقد يخبرونك بأمور هي معلومة لدى المقربين لك ، كأن يخبرونك باسم أمك أو أبيك أو بعدد أولادك ، وقد يخبرونك بأمور مستقبلية لكنها ليست محددة ، وهي من الأمور التي قد تحدث لكل أحد كقولهم ستحل عليك مصيبة في كذا ، أو سيأتيك أمر سار ونحو ذلك ، وهذا ليس من علم الغيب في شيء ، ومن اعتقد أن أحداً يعلم الغيب غير الله ، فهو كافر كفرا أكبر مخرج عن الملة ؛ لأنه قد كذب الله في قوله: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ الآية ٢٦ الجن ، وكذب الله في قوله: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ الآية ٦٥ النمل ، بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في حياته قد قال: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ

السُّوءُ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَنَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ من الآية ٨٨ الأعراف

وكذا يجب أن لا يغيب عن أذهاننا بأن شياطين الجن والإنس يعين بعضهم بعضا في إيقاع الناس في الشرك الأكبر بالله بتحقيق بعض المنافع الدنيوية التي قد تكون من الخوارق للعادة التي اعتاد عليها الناس ، أو الإخبار ببعض الأمور التي قد تصدق ، فقد جاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الملائكة تتحدث في العنان والعنان الغمام بالأمر يكون في الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في أذن الكاهن كما تقر القارورة فيزيدون معها مائة كذبة) (١) وجاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: (سأل أناس النبي صلى الله عليه

(١) - صحيح البخاري ج ٣/ص ١١٩٧/ح ٣١١٤/باب صفة إبليس وجنوده

وسلم عن الكهان فقال إنهم ليسوا بشيء فقالوا يا رسول الله فإنهم يحدثون بالشيء يكون حقا قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرقها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة فيخلطون فيه أكثر من مائة كذبة^(١) ، وفي لفظ مسلم قالت: (قلت يا رسول الله إن الكهان كانوا يحدثوننا بالشيء فنجدده حقا قال تلك الكلمة الحق يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه ويزيد فيها مائة كذبة)^(٢)

فإذا صدقوا فيما يقولون ، وهذا قد يحدث أحيانا ابتلاء من الله وفتنة ، ولكن ليس في حدوث مثل هذا حجة للمشركين لأن الله قد بين لنا أتم البيان بأن الأموات لا يملكون ضرا ولا نفعا البتة ، وبين بأن علم الغيب أمر لا يعلمه إلا الله ، فمن قال غير ذلك فقد كذب الله وكفى به إثما مبينا .

بسم الله الرحمن الرحيم

الشبهة الثالثة: شبهة الشفاعة

الحمد لله الذي بعث النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البيّنات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما شهد هو سبحانه وتعالى أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي ختم به أنبياءه وهدى به أوليائه ونعته بقوله في القرآن الكريم لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم صلى الله عليه وعلى آله أفضل صلاة وأفضل تسليم

أما بعد

(١) - صحيح البخاري ج٦/ص٢٧٤٨/ح٧١٢٢ / باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم

(٢) - صحيح مسلم ج٤/ص١٧٥٠/ح٢٢٢٨ / باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان

فإن حديثنا اليوم عن إحدى شبهة المشركين في كل زمان وفي كل مكان ، إنها تلك الشبهة التي يروجونها لتلك الآلهة التي تعبد من دون الله من أصحاب القبور ، سواء كان صاحب القبر نبيا أو وليا أو غيره ألا وهي شبهة الشفاعة .
فإليكم الرد على أهل الباطل في هذه الشبهة ، والرد عليهم من طريقين مجمل ومفصل

أما الجواب المجمل:

فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها ، وذلك يتبين في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ الآية ٧ آل عمران وقد جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم" (١)

فإذا قال لك بعض المشركين من عباد القبور بأن أولياء الله لا خوف عليهم ولا يحزنون ، أو استدل بأن الشفاعة حق، وأن الأنبياء لهم جاه عند الله ، أو ذكر كلاما للنبي صلى الله عليه وسلم يستدل به

(١) صحيح البخاري ج ٤/ص ١٦٥٥/٤٢٧٣؛ صحيح مسلم ج ٤/ص ٢٠٥٣/٢٦٦٥

على شيء من باطله ، وأنت لاتفهم معنى الكلام الذي ذكره ، فأجبه بقولك: إن الله ذكر بأن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ، وما ذكرته لك من أن المشركين يقرون بالربوبية بأن الله هو الخالق والرازق والمدبر ، وأن كفرهم إنما كان بسبب تعلقهم بالملائكة والأنبياء والأولياء ، وقد كانوا يقولون كما تقولون أنتم الآن هؤلاء ، شفعاؤنا عند الله ، وهذا أمر محكم بين ، لا يقدر أحد أن يغير معناه ، وما ذكرته لي أيها المشرك من القرآن ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، لا أعرف معناه ، ولكنني أقطع بأن كلام الله لا يتناقض ، وأن كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يخالف كلام الله عز وجل .

أما الجواب المفصل على تلك الشبهة فهاكم إياه .

قدر أنك في بلاد ، ترى فيها تلك المشاهد المشهودة من القبور ، وقد اتخذها الغلاة أعيادا ، للصلاة إليها ، والطواف بها ، وتقييلها ، واستلامها ، وتعفير الخدود على ترابها ، ودعاء أصحابها ، والاستغاثة بهم ، وسؤالهم النصر ، والرزق ، والعافية ، وقضاء الديوان ، وتفريج الكربات ، وإغاثة اللهفات ، وغير ذلك ، من أنواع الطلبات ، التي ، كان عباد الأوثان ، والأصنام يسألونها أصنامهم ، وأوثانهم

فتقول لنفسك ، سبحان الله ، إن لم يكن هذا شركا ، فما هو الشرك ، فتصرخ فيهم ، يا قوم هذا والله هو الشرك الذي حذر الله منه ، في كتابه ، وفي سنة نبيه ، هذا هو الشرك ، الذي بعث من أجله الرسل ، فما هو إلا أن قلت ذلك ، فكاد أن يبطش بك العوام ، فتأتي لسدنة القبر ، فتخاطبهم وتحذرهم وتنبههم ، بلا جدوى ، فتذهب لعلمائهم ، فتقول لهم ، كيف ترضون بالشرك الأكبر ، يعمل في بلادكم ، فلا تحذرون الناس منه ؟ بل إن بعضكم ، يدافع عن ذلك ، ألا تتقون الله ، ألا تخافونه ، أما تخافون حمل أوزار هؤلاء العوام ، الجهلة .

فإذا بهم ، يبادرونك القول وينتهرونك ، عن أي شرك تتحدث يا هذا ؟

فتقول لهم: دعاء الأموات ، والاستغاثة بهم ، والذبح لهم ، والنذر لهم ، واتخاذ القبور مساجد ، كل ذا ، وتقولون أين الشرك ؟

فيزداد عجبك منهم ، وهم يجيبونك بقولهم: ومن قال لك ، أن هذه الأفعال من الشرك ، فترجع لنفسك القول ، يالها من قلوب قد طمست ، وعن الحق قد حجبت ، ليس هذا بشرك! فياليت شعري ، هذا الذي تفعلونه باسمه عندكم ؟

فيقولون إنما هو تعظيم للصالحين ، وتوسل بهم إلى الله ، فالإنسان ، لا يدعوا الله مباشرة ، وإنما يدعوه بواسطة الأولياء ، فهم ، كالوزراء بالنسبة للملوك ، هم الواسطة ، وسيقولون لك أيضا ، نحن لا نعتقد أن هؤلاء الأموات ، الذين ندعوهم ، ونستغيث بهم ، آلهة أو أربابا لنا ، كلا ، نحن لا نعتقد ذلك ، بل نعتقد بأنهم مخلوقون مثلنا ، ولكنهم وسائط بيننا وبين الله ، وشفعاء لنا عنده ، لأنهم أهل طاعة وأهل صلاح

فتقول ، الله أكبر ، كذلك قال الذين من قبلهم تشابهت قلوبهم

هو نفس الوهم ، الذي سقط فيه المشركون قديما ، كما ذكر الله ذلك في كتابه على لسانهم ، حين قالوا عن آلهتهم وأصنامهم ، ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فقال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا

مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ

يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ الآية ٣ الزمر ، فشهد عليهم بالكذب وحكم عليهم بالكفر وأخبر أنه لا يهديهم .

وقال سبحانه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ الآية ١٨ يونس

فحكم عليهم بالشرك بعد أن بين بأنه سبحانه ، لا يعلم له شريكا في السموات ولا في الأرض ، بل هو الواحد الأحد سبحانه وتعالى ، الفرد الصمد ، المستحق للعبادة كلها وحده.

ثم نكسوا على رؤوسهم

فقالوا لك ، أنكرك شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ منها ؟ فتقول لهم ، لا والله ، لا أنكرها ، ولا أتبرأ منها ، بل هو الشافع والمشفع ، وأرجو شفاعته ، ولكن الشفاعة كلها لله ، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ من الآية ٤٤ الزمر ، ولا تكون إلا من بعد إذن الله كما قال سبحانه: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ من الآية ٢٥٥ البقرة ، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ من الآية ٢٣ سبأ .

وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والشهداء والأولياء لاحق فيها لمشرك ، فمصير كل مشرك إلى النار وبئس القرار كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدًا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ الآيات ٨٥-٨٧ مريم ، قال ابن كثير عند قوله لا يملكون الشفاعة : " أي ليس لهم من يشفع

لهم كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض وكما قال تعالى مخبراً عنهم : ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾^(١) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠٠﴾ الآيتان ١٠٠ ، ١٠١ الشعراء ، وقوله: ﴿ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ هذا استثناء منقطع بمعنى لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً وهو شهادة أن لا إله إلا الله والقيام بحقها قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً قال العهد شهادة أن لا إله إلا الله وبيراً إلى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله عز وجل " أه (١) وقد جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه) (٢) .

فإذا علمت بأن:

١ - الشفاعة كلها لله.

٢ - وأنها لا تكون إلا من بعد إذنه.

٣ - فلا يشفع النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه.

٤ - ولا يأذن إلا لأهل التوحيد .

تبين لك ، بأن الشفاعة كلها لله ، فاطلبها منه ، وقل في دعائك ، اللهم لاتحرمني شفاعته ، اللهم شفعه فيّ ، وأمثال ذلك .

فإن قال لك المشرك ، النبي صلى الله عليه وسلم أعطي الشفاعة وأنا أطلبها ممن أعطيها ،

فأجبه بجوابين :

(١) - تفسير ابن كثير ج ٣/ص ١٣٩

(٢) - صحيح البخاري ج ١/ص ٤٩/ح ٩٩/باب الحرص على الحديث

الجواب الأول : أن تقول إن الله قد أعطاه الشفاعة ، ولكنه قد بين لك بأن الذي يستحقها هو الموحد الذي لم يشرك بالله شيئا ، فإن كنت تطمع في شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم فأطع الله في أمره لك عندما قال لك ، ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ من الآية ١٨ الجن .

الجواب الثاني: أن تقول له بأن الشفاعة ليست خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فالملائكة يشفعون والأفراط يشفعون ، والأولياء يشفعون ، والشهداء يشفعون ، فقل كذلك بأن الله قد أعطاهم الشفاعة وأطلبها منهم . فإن قلت هذا ، فقد رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه ، وإن قلت لا ، بطل قولك .

والذي في قلوب هؤلاء المشركين ، وسلفهم أن آلهتهم ، تشفع لهم عند الله وهذا عين الشرك ، وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه ، وأبطله وأخبر أن الشفاعة كلها له ، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن الله أن يشفع فيه ورضي قوله وعمله ، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعا ، فإنه يأذن سبحانه لمن يشاء في الشفاعة لهم ، حيث لم يتخذوا شفعا من دونه ، فيكون أسعد الناس بالشفاعة من يؤذن له ، وهو صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعا من دون الله .

أقسام الشفاعة

إن المتبصر بالآيات والأحاديث التي جاءت في الشفاعة يجد أنها تنقسم إلى قسمين ، شفاعة مثبتة ، وشفاعة منفية ،

أولا: الشفاعة المثبتة:

فالشفاعة التي أثبتها الله ورسوله هي الشفاعة التي يأذن بها الله سبحانه ، وهو لا يأذن لأحد أن يشفع لمشرك ، فقبول الشفاعة خاص بمن يرضى قوله وعمله ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي

السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿٢٦﴾ الآية ٢٦ النجم ، وقال تعالى عن الملائكة: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَى﴾ من الآية ٢٨ الأنبياء. وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أْذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ الآية ١٠٩ طه. وهو لا يرضى إلا لمن وحده .

ثانيا: الشفاعة المنفية

أما الشفاعة التي نفاها الله ، فهي الشفاعة الشركية في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء ، كما قال تعالى عن صاحب يس: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الآية ٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ الآيات ٢٢-٢٤ يس . وقال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وِليٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الآية ٥١ الأنعام . وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وِليٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ الآية ٤ السجدة .

فيعاملون بنقيض قصدهم من شفاعتهم ، ويفوز بها الموحدون ، وسوف يعلم كل مشرك بذلك من حين موته كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا

أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ^ط الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ^ط وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَؤُا لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٤٢﴾ الْآيَاتان ٩٣-٩٤ الأنعام

وتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة-رضي الله عنه في الحديث المتقدم ، وقد سأله من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال: (أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه) فانظر كيف جعل أعظم الاسباب التي تنال بها شفاعته ، تجريد التوحيد ، بعكس ما عند المشركين ، أن الشفاعة تنال ، باتخاذهم شفعاء ، وعبادتهم وموالاتهم من دون الله ، فقلب النبي صلى الله عليه وسلم ما في زعمهم الكاذب ، وأخبر أن سبب الشفاعة ، تجريد التوحيد ، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع.

فلا شفاعة إلا بإذنه ، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله ، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله .

ولقد قطع الله تعالى كل الأسباب ، التي يتعلق بها المشركون جميعا ، قطعا يعلم من تأمله وعرفه : أن من اتخذ من دون الله وليا أو شفيعا فهو كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت كما قال سبحانه ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ أَخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ الآية ٤١ العنكبوت وقال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ ﴿٤٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴿٤٣﴾ من الآيتين ٢٢-٢٣ سبأ ، فهذه الآية قطعت الأسباب التي يتعلق بها المشركون

، فهي حاصرة ، للأسباب التي بها تعبد الآلهة ، أتى بها الله ، ليتحدى المشركين ، ويبين لهم بطلان الآلهة ، فنفى الملك بقوله: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ ونفى الشريك بقوله: ﴿ وَمَا هُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ ﴾ ، ونفى المعين بقوله: ﴿ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ ﴾ ونفى الشفاعة بقوله: ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾

فتلك الآلهة التي تعبد من دون الله من الأنبياء أو الأولياء ، أو الأصنام أو غير ذلك ، كلها لا تملك شيئا ، وليست شريكة لله في شيء ، ولا يمكن، أن تكون معينة لك في شيء ، ولا يمكن أن تكون شفيعة لك ، فهو هنا قد نفى الشفاعة التي يظنها المشرك ، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة بإذنه ، وهي لا تكون إلا لأهل التوحيد .

فكفى بهذه الآية نورا وبرهانا ونجاة وتجريدا للتوحيد وقطعا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها. والقرآن مملوء من أمثالها ، ونظائرها . ولكن مصيبة أكثر الناس أنهم لا يشعرون بدخول الواقع تحت هذه الآيات ، ويظنون ، أن القرآن يتكلم عن أناس قد مضوا ، واندثروا ، وأيم الله ، إن هذا الكتاب هو خطاب موجه لكل شخص حتى تقوم الساعة ، تبيانا لكل شيء ، فإذا ما وجدت صورة الشرك فهو الشرك ، ولا فرق في ذلك بين حاضر ، ولا ماض ، ولا مستقبل .

بسم الله الرحمن الرحيم

الشبهة الرابعة : شبهة التوسل

الحمد لله الذي بعث النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كما شهد هو سبحانه وتعالى أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي ختم به أنبياءه ، وهدى به أوليائه ، ونعته بقوله في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٧٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا

إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٨﴾ الآيتان ١٢٨ ١٢٩ ، التوبة ، صلى

الله عليه وعلى آله أفضل صلاة وأفضل تسليم

أما بعد

فأكمل اليوم مابدأناه في دحض شبهة المشركين وأعاونهم :

فإن من أعظم شبههم أنهم يقولون نحن نتوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم

وهذا جائز

فتقول لهم من جوز لكم هذا ؟

فسيقولون لك هل تنكر أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توسلوا برسول الله صلى الله

عليه وسلم ؟

فتقول لهم من أين لكم هذا؟

فيقولون لك ألم يتوسل به الأعمى كما جاء في الحديث (أن رجلاً ضرباً أتى النبي فقال يا نبي الله

ادع الله أن يعافيني فقال إن شئت أخرت ذلك فهو خير لآخرتك وإن شئت دعوت لك قال لا بل

ادع الله لي فأمره أن يتوضأ وأن يصلي ركعتين وإن يدعو بهذا الدعاء اللهم انى أسألك وأتوجه اليك

بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربي في حاجتى هذه فتقضى اللهم فشفعنى فيه

وشفعه في قال ففعل الرجل فبراً) (١)

قالوا فنحن نتوسل به كما توسل به هذا الأعمى ، فهذا الحديث يقتضى جواز التوسل به مطلقاً حياً

وميتاً .

(١) - من حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه ، صحيح ابن خزيمة ج ٢/ص ٢٢٥/ح ١٢١٩ ، مسند الإمام أحمد بن حنبل

ج ٤/ص ١٣٨/ح ١٧٢٧٩ ، المستدرک على الصحيحين ج ١/ص ٧٠٠/ح ١٩٠٩ ، وقال : " المستدرک على الصحيحين

ج ١/ص ٧٠٠ هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " ، ووافقه الذهبي في التلخيص ، سنن الترمذي ج ٥/ص ٥٦٩/ح ٣٥٧٨ ،

وقال : "حسن صحيح غريب"

فقول لهم هذا توسل به في حياته صلى الله عليه وسلم ليدعو له ويشفع له عند الله في إعادة بصره إليه ، وليس توسلا بذاته ، بدليل أنه قال (بل ادع الله لي فأمره أن يتوضأ وأن يصلى ركعتين وان يدعو بالدعاء المذكور) فهذا توسل بدعائه في حياته .

فإن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم والتوجه به في كلام الصحابة إنما يريدون به التوسل بدعائه وشفاعته ، ولم يفعلوا ذلك بعد مماته البتة ، بدليل ماجاء في صحيح البخاري: (عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا صلى الله عليه وسلم فتسقيننا وإنا نتوسل إليك بعم نينا فاسقنا قال فيسقون) (١)

وجه الاستدلال

فلو كان التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم جائزا بعد وفاته لما توسلوا بدعاء عمه العباس وتركوا التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي هو أفضل الخلق وأكرمهم على ربه وأقربهم إليه وسيلة إلى أن يتوسلوا بغيره ممن ليس مثله ؛ فدل ذلك على علمهم بعدم جواز ذلك ، وهم أعلم منا بالله ورسوله وبحقوق الله ورسوله وما يشرع من الدعاء وينفع ، وما لم يشرع ولا ينفع وما يكون أنفع من غيره.

أقسام التوسل: التوسل ، قسمان : توسل ممنوع ، وتوسل مشروع

أولا : التوسل الممنوع

أما التوسل الممنوع فمثل التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، والاستغاثة به وطلبه النصر على الأعداء والشفاء للمرضى - فهذا هو الشرك الأكبر ، وهو دين أبي جهل وأشباهه من عبدة الأوثان ، وهكذا من فعل ذلك مع غيره من الأنبياء والأولياء أو الجن أو الملائكة أو الأشجار أو الأحجار أو الأصنام .

(١) - صحيح البخاري ج ٣/ص ١٣٦٠/ح ٣٥٠٧/باب ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه

ومن التوسل الممنوع أيضا: التوسل بجاهه صلى الله عليه وسلم أو بحقه أو بذاته مثل أن يقول الإنسان : أسألك يا الله بنبيك أو بجاه نبيك أو حق نبيك أو جاه الأنبياء أو حق الأنبياء أو جاه الأولياء والصالحين وأمثال ذلك فهذا بدعة ومن وسائل الشرك ولا يجوز فعله معه ولا مع غيره؛ لأن الدعاء عباده وكيفيته من الأمور التوقيفية ولم يثبت عن نبينا صلى الله عليه وسلم ما يدل على شرعية أو إباحة التوسل بحق أو جاه أحد من الخلق فلا يجوز لمسلم أن يحدث توسلا لم يشرعه الله سبحانه ، لقوله تعالى : (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ) من الآية ٢١ الشورى ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)^(١) وفي رواية لمسلم أخرجها البخاري تعليقا مجزوما به (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)^(٢) ومعنى قوله : فهو رد ، أي مردود على صاحبه لا يقبل ، فالواجب ، على أهل الإسلام التقيد بما شرعه الله والحذر مما أحدثه الناس من البدع .

ثانيا: التوسل المشروع

ومن ذلك:

١- التوسل بأسماء الله وصفاته وتوحيده ، كأن تقول اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن فارحمي ، أو بأنك أنت الرزاق فارزقني ، ويدل على ذلك: قوله تعالى : (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) من الآية ١٨٠ الأعراف . ومن ذلك أيضا (أنه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد

(١) - من حديث عائشة رضي الله عنها ، صحيح البخاري ج ٢/ص ٩٥٩/ح ٢٥٥٠/ باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، صحيح مسلم ج ٣/ص ١٣٤٣/ح ١٧١٨/باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور

(٢) - من حديث عائشة رضي الله عنها ، صحيح مسلم ج ٣/ص ١٣٤٣/ح ١٧١٨ ، صحيح البخاري ج ٢/ص ٧٥٣/باب النجش ومن قال لا يجوز ذلك البيع ، وقال بن أبي أوفى الناجش آكل ربا خائن وهو خداع باطل لا يحل ، قال النبي صلى الله عليه وسلم الخديعة في النار ومن عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ،

الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال صلى الله عليه وسلم لقد سألت الله باسمه الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب (١) .

٢- ومن التوسل المشروع التوسل إلى الله بالأعمال الصالحات ومنها الإيمان بالله ورسوله ومحبة الله ورسوله ونحو ذلك من أعمال البر والخير والأدلة على ذلك كثيرة منها قوله سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ الآية ١٦ آل عمران ، وكما في قوله سبحانه: ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ الآية ١٩٣ آل عمران.

٣- ومن التوسل المشروع التوسل إلى الله بأعمالك الصالحة ، كما جاء في الصحيحين من حديث أصحاب الغار الذين توسلوا إلى الله سبحانه وتعالى بأعمالهم الصالحة فإن الأول منهم توسل إلى الله سبحانه بیره بوالديه ، والثاني توسل إلى الله بعفته عن الزنا بعد قدرته عليه ، والثالث توسل إلى الله سبحانه بكونه نمي أجرة الأجير ثم سلمها له ، ففرج الله كربتهم وقبل دعاءهم وأزال عنهم الصخرة التي سدت عليهم باب الغار، والحديث متفق على

(١) - من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، صحيح ابن حبان ج ٣/ص ١٧٥/ح ٨٩٣ ، السنن الكبرى للنسائي ج ١/ص ٣٨٦/ح ١٢٢٣ ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٣/ص ١٢٠/ح ١٢٢٢٦ ، المستدرک علی الصحیحین ج ١/ص ٦٨٣، ح ١٨٥٦ ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي في التلخيص وقال : " على شرط مسلم " ،

صحته ^(١) . وهكذا يمكنك أن تقول اللهم إنك نعلم بأنني قد فعلت هذا العمل (أي عمل من أعمال الخير التي قد قمت بها) لا بتغاء مرضاتك فيسر لي كذا أو اصرف عني كذا .

٤- ومن التوسل المشروع دعاء الرجل الصالح الحي الحاضر ، مثل توسل الرجل الأعمى بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته فهو توسل به صلى الله عليه وسلم ليدعو له ويشفع له إلى الله في إعادة بصره إليه ، وليس توسلا بالذات أو الجاه أو الحق كما يعلم ذلك من سياق الحديث وكما أوضح ذلك علماء السنة في شرح الحديث . وهذا الحكم جائز مع غيره صلى الله عليه وسلم ، ومنه ما جاء في الأثر الذي تقدم ذكره أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا صلى الله عليه وسلم فلتسقيننا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون ، أي نتوسل إليك بدعائه ، فكان العباس رضي الله عنه يرفع يديه ويدعو ويؤمنون خلفه . وقوله كنا نتوسل إليك بنينا أي بدعائه ويدل على ذلك ما جاء في الصحيحين : (أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما فقال يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم اسقنا اللهم اسقنا اللهم اسقنا قال أنس ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قرعة ولا شيئا وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت قال والله ما رأينا الشمس ستا ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبله قائما فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها قال فرفع رسول الله صلى

(١) - من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما صحيح البخاري ج ٢/ص ٧٩٣ / ح ٢١٥٢ / باب من استأجر أجيرا فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد أو من عمل في مال غيره فاستفضل ، صحيح مسلم ج ٤/ص ٢٠٩٩ / ح ٢٧٤٣ / باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال .

الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والجبال والآجام والظراب والأودية ومنابت الشجر قال فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس (١) .
وعلى هذا فيجوز أن تقول لأخيك أو أبيك أو من تظن فيه الخير : ادع الله لي أن يشفيني من مرضي أو يرد علي بصري أو يرزقني الذرية الصالحة أو نحو ذلك بإجماع أهل العلم .

(١) - من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، صحيح البخاري ج ١ / ص ٣٤٤ / ح ٩٦٨ / باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة ، صحيح مسلم ج ٢ / ص ٦١٢ / ح ٨٩٧ / باب الدعاء في الاستسقاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الشبهة الخامسة :

شبهة الكف عن من قال لا إله إلا الله ولو فعل ما فعل

الحمد لله الهادي النصير، فنعم النصير، ونعم الهاد، الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ويبين له سبل الرشاد، كما هدى الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق، وجمع لهم الهدى والسداد، والذي ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، كما وعد في كتابه وهو الصادق الذي لا يخلف الميعاد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقيم وجه صاحبها للدين حنيفا وتبرئه من الإلحاد وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل المرسلين وأكرم العباد، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره أهل الشرك والعناد وعلى آله أفضل الصلوات وأعلاها وأكملها وأنماها كما يحب سبحانه ان يصلى عليه وكما أمر وكما ينبغي أن يصلى على سيد البشر، والسلام على النبي ورحمة الله وبركاته افضل تحية أحسنها وأولاها وأبركها وأطيبها وأزكاها صلاة وسلاما دائمين إلي يوم التناد، باقين بعد ذلك أبدا رزقا من الله ما له من نفاذ.

أما بعد

فلا يزال الحديث متصلا مع سدنة الخرافة، وعلماء الضلالة، الذين يضلون الناس، بغير علم ولا هدى، ولا كتاب منير، حيث جعلوا العصمة لمن قال لا إله إلا الله، حتى ولو أشرك بالله الشرك الأكبر. فعندما تصيح بهم، ويحكم، كيف لا يخرج من دين الإسلام من أشرك مع الله غيره كيف؟ فيقولون لك، نحن لانشرك بالله شيئا، حاشا وكلا، و أما الالتجاء إلى الصالحين فليس بشرك. فنقول لهم إذا كنتم تقرون بأن الله حرم الشرك، وبأنه أعظم ذنب عصي به، وبأنه لا يغفر، فما هو هذا الأمر الذي عظمه الله وذكر أنه لا يغفره، ماهو الشرك؟ فسيقولون لك بأن الشرك هو عبادة الأصنام، ونحن لانعبد الأصنام.

فتقول لهم ، مامعنى عبادة الأصنام؟

هل تظنون أن عبَاد الأصنام ، يعتقدون بأن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها ، فهذا يكذبه القرآن كما في آيات كثيرة منها قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ يونس ، وقوله تعالى: ﴿

وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الآية ٩ الزخرف ، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا

تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٤٣﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا

تَتَّقُونَ ﴿٤٤﴾ ٨٤-٨٧ المؤمنون

إذا فهم يقرون لله بالخلق والتدبير والرزق ، ولكنهم يظنون بأن تلك الأصنام تقربهم إلى الله زلفى ، وتشفع لهم عند الله كما قال تعالى سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ

إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ من الآية ٣ الزمر . وقال سبحانه: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ من الآية ١٨ يونس .

فإن قالوا لك :

هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام ، فكيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام ؟، أم كيف تجعلون الأنبياء أصناما ؟.

فتقول لهم:

إن هذه الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام وفي غيرهم ، فإن الشرك ليس محصورا في عبادة الأصنام فقط ، بل إن القرآن قد صرح بوجود من يدعوا الأنبياء والرسل ، ويدعون عيسى ابن مريم وأمه ،

ومنهم من يتخذ العلماء أربابا من دون الله ، ومنهم من يتخذ الصالحين آلهة من دون الله كيغوث ويعوق ونسرا ، ومن ذلك:

قوله سبحانه: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ الآية ٣١ التوبة .

وقوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِثْلَ دُونِ اللَّهِ ۗ قَالَ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ۗ مِنْ الْآيَةِ ١١٦ المائدة .

وقوله سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلٰٓئِكَةِ أَهٰؤُلَآءِ ءِإِيَآكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِّن دُونِهِمْ ۗ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ الآية ٤٠-٤١ سبأ .

فكل من صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله فقد سماه الله مشركا ، في كتابه وفي سنة نبيه ، فلا فرق بين نبي ولا ولي ولا حجر ولا شجر ، فالله قد كفر من قصد الأصنام ، وكفر أيضا من قصد الأنبياء والصالحين ، فلا فرق .

فإن قالوا :

نحن لا نعبد إلا الله ، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة ،

فقل لهم: هل تقرون بأن الله قد فرض عليكم إخلاص العبادة ، وبأن ذلك هو حق الله على العباد؟ ، فلا بد أن يقولوا نعم.

فقل لهم: إنه سبحانه وتعالى يقول: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾

الآية ٥٥ الأعراف ، فإذا أعلمتهم بهذا ، وبينت لهم الأدلة الدالة على أن الدعاء عبادة ، كما بينت في موضع سابق^١ قل لهم هل تقرون الآن بأن الدعاء عبادة لله ؟ فلا بد أن يقولوا نعم ، والدعاء مخ العبادة.

^١ - انظر المنهاج السديد في بيان الشرك والبدعة والتوحيد

فقل لهم: إذا أقررتم بأن الدعاء عبادة ، ودعوتم الله ليلا ونهارا خوفا وطمعا ، ثم دعوتم في تلك الحاجة نبيا أو وليا أو غيره ، أفلا تكونون بذلك قد صرفتم الدعاء الذي هو نوع من أنواع العبادة ، لغير الله ؟

وكذلك إذا علمتم بقول الله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْرَسًا ﴾ الآية ٢ الكوثر ، فأطعتم الله ونحرتم له ، أفلا يكون ذلك عبادة ؟ فلا بد أن يجيبوك بنعم الذبح لله عبادة.

فقل لهم: فإذا نحرتم لمخلوق ، نبي أو ولي أو غيره، ألا تكونون بذلك قد أشركتم في هذه العبادة غير الله؟

وكذلك قل لهم: المشركون الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الأصنام ؟ فلا بد ان يقولوا نعم.

فتقول لهم : و هل كانوا يعبدونهم بغير الدعاء والذبح والنذر ،والالتجاء ؟ فسوف لن يحيروا جوابا.

فقل لهم: إن عباد الأصنام إنما كانوا يعبدونهم بالدعاء وبالنذر والذبح والالتجاء والتوكل والرغبة وغير ذلك من أنواع العبادة.

فعبادة الأصنام تنطبق على كل من قصد شيئا خشبة أو حجرا أو وليا أو غيره، فيدعونه ويذبحون له ويقولون إنه يقربنا إلى الله زلفى ويدفع عنا ببركته ويعطينا ببركته ، وهذا هو بعينه فعلكم عند الأحجار والبنائيات التي على القبور وغيرها فتلك هي عبادة الأصنام .

فسينغضون إليك برؤوسهم ويقولون:

إن الذين نزل فيهم القرآن ، لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينكرون البعث ، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرا ، أما نحن فنشهد بأن لا إله إلا الله وبأن محمدا رسول الله ، ونصدق بالقرآن ، ونؤمن بالبعث ، ونصلي ، ونصوم ، فكيف تجعلوننا مثل أولئك ؟

فتقول لهم: أولستم تقررون معنا ، بأن الرجل إذا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ، وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام ، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه ، كمن

أقر بالتوحيد ويجحد الصوم ، أو أقر بالتوحيد والصلاة ، والصوم ، وجحد وجوب الزكاة ، أو أقر بهذا كله وجحد وجوب الحج ومن أقر بهذا كله وجحد البعث ، أليس يكفر بإجماع المسلمين ويحل دمه وماله ؟ فلا بد أن يقرون لك بذلك ، فيقولون نعم إنه يكفر بذلك .
فقل لهم حينئذ: فكيف يكفر كل هؤلاء و لا يكفر من جحد التوحيد وأشرك بالله ؟
فيقولون لك:

إن لا إله إلا الله شأنها عظيم ، فهي تعصم من قالها ويدل على ذلك مايلي:

١ - عن أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلا فقال لا إله إلا الله فطعنته فوق في نفسي من ذلك فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقال لا إله إلا الله وقتلته قال قلت يا رسول الله إنما قالها خوفا من السلاح قال أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ^(١)

وجه الاستدلال: أنه أنكر عليه قتله بعد أن قال هذه الكلمة ، فدل على أنها تعصم من قالها .
ويجاب عنه : بأن أسامة-رضي الله عنه- قتل رجلا إدعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه لم يدع الإسلام إلا خوفا على دمه وماله ، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك ، وأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ من الآية ٩٤ النساء ، فالآية تدل على أنه يجب الكف عن من أظهر الأسلام والتثبت ، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالى فتبينوا ، ولو كان لا يقتل إذا قالها فما فائدة التثبت إذا ؟

والدليل على هذا أن رسول الله الذي قال أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله ، فعندما اعترض أسامة رضي الله عنه بقوله إنما قالها خوفا من السلاح ، فأجابه صلى الله عليه وسلم معنفا (أفلا شققت عن

(١) - صحيح مسلم ج ١/ص ٩٦/ح ٩٦/باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله

قلبه) والمعنى كيف لك أن تحكم على مافي قلبه ، أنه قالها خوفا من السلاح ، أو أنه قالها صادقا ؟

واستدلوا أيضا بما يلي:

- ٢- حديث معاذ ابن جبل رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار قال يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا قال إذا يتكلموا }^(١)
- ٣- قوله عليه الصلاة والسلام { من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة }^(٢) .
- ٤- وقوله عليه الصلاة والسلام { : إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله ، يبتغي بذلك وجه الله }^(٣) .
- ٥- وقوله عليه الصلاة والسلام { ما من عبد قال لا إله إلا الله ، ثم مات على ذلك ، إلا دخل الجنة }^(٤) .

(١) - صحيح البخاري ج ١/ص ٥٩ / ١٢٨ /باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا ؛ صحيح مسلم

ج ١/ص ٦١/ح ٣٢ / باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا

(٢) - من حديث عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، صحيح مسلم ج ١/ص ٥٥/ح ٦ /باب الدليل على أن من مات على

التوحيد دخل الجنة قطعا

(٣) - من حديث عتبان بن مالك رضي الله تعالى عنه ، صحيح البخاري ج ١/ص ١٦٤/ح ٤١٥ / باب المساجد في البيوت ؛

صحيح مسلم ج ١/ص ٤٥٥/ح ٣٣ / الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر

(٤) - من حديث أبي ذر رضي الله تعالى عنه ، صحيح البخاري ج ٥/ص ٢١٩٣/ح ٥٤٨٩ / باب الثياب البيض ؛ صحيح مسلم

ج ١/ص ٩٥/ح ٩٤ / باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار

- ٦- وقوله عليه الصلاة والسلام { من شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل } (١) .
- ٧- وقوله عليه الصلاة والسلام { : يخرج من النار من قال لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن برة } (٢)

وجه الاستدلال من هذه الأحاديث : أن ظاهر هذه الأحاديث تدل على أن من قال هذه الكلمة فقد حرمه الله تعالى على النار مهما كان من عمل
أجيب عنه من وجوه :

الوجه الأول : أن هذا الأحاديث ، وما جاء في معناها ، عامة ، قد جاء ما يخصصها من الكتاب والسنة التي جاء فيها أن العصمة لا تكون إلا لمن أتى بموجباتها ، وامتنع عن نواقضها:
فمن الكتاب

قوله تعالى بعد ذكره لبعض الأنبياء والرسول : ﴿ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهُ يَهْدِي بِهِ ۚ مَن يَشَاءُ مِن ۖ عِبَادِهِ ۗ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الآية ٨٨ الأنعام
وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ الآية ٦٥ الزمر

(١) - من حديث عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه ، صحيح البخاري ج ٣/ص ١٢٦٧/ح ٣٢٥٢/ باب قوله { يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا}؛ صحيح مسلم ج ١/ص ٥٧/ح ٢٨ / باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا .

(٢) - من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، صحيح البخاري ج ٦/ص ٢٦٩٥/ح ٦٩٧٥/باب قول الله تعالى لما خلقت بيدي ؛ صحيح مسلم ج ١/ص ١٨٢/ح ١٩٣/ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها

وجه الاستدلال: أن الأنبياء على علو منزلتهم عند الله ، لو وقع منهم الشرك بطلت جميع أعمالهم وصاروا من الخاسرين ، وإذا لم يستثن الأنبياء من ذلك فغير الأنبياء من باب أولى .
 وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ الآية ٤٨ النساء

وجه الاستدلال : أن الله قد بين في هذه الآية أنه لا يغفر الشرك ، فدل على فساد أعمال المشرك وأنه لا ينتفع بشيء منها.
 ومن السنة:

- ١- قول النبي صلى الله عليه وسلم : {بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة} (١) .
 وجه الاستدلال : أنه قد جعل الصلاة حدا فاصلا بين الإسلام والكفر ، فمن تركها فقد كفر، ولو فعل يقية شرائع الإسلام فكيف لا يكفر بنقض أصل الإسلام وهو التوحيد.
- ٢- حديث بن عمر رضي الله تعالى عنه { أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله } (٢) .
- ٣- وحديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: { قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله } (٣) .

وجه الاستدلال من الحديثين :

(١) - صحيح مسلم ج ١/ص ٨٨/ح ٨٢ باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ، من حديث جابر رضي الله تعالى عنه.
 (٢) - صحيح البخاري ج ١/ص ١٧/ح ٢٥/باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ؛ صحيح مسلم ج ١/ص ٥٣/ح ٢٢ / باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
 (٣) - صحيح البخاري ج ١/ص ١٥٣/ح ٣٨٥/باب فضل استقبال القبلة يستقبل بأطراف رجله

أنه قد اشترط للعصمة أمورا منها إقامة الصلاة ؛ فمن لم يقيم الصلاة فهو غير معصوم الدم ، فإذا أتى بالشرك الأكبر فمن باب أولى يكون غير معصوم الدم .

٤- حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في قصة أهل الردة ، وفيه { قال عمر لأبي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله فقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقلا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه فقال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق } (١)

وجه الاستدلال : أن الصحابة قد أجمعوا على قتال تاركي الزكاة ، واستحلوا بذلك دماءهم وأموالهم ، وجعلوهم من المرتدين ، فإذا كان من منع الزكاة صار مرتدا ؛ فإن فعل الشرك أعظم نواقض الإسلام فيكون من فعل ذلك أعظم ردة من مانع الزكاة.

الوجه الثاني: بأن الذي قال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله هو أيضا الذي قال في الخوارج كما في الصحيحين لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد (٢) ، مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلا وتسييحا ، حتى إن الصحابة يحرقون صلاتهم عندهم ، وهم تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم لا إله إلا الله ، ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة.

الوجه الثالث: وكذلك هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويصلون ويؤذنون.

(١) - صحيح البخاري ج ٦/ص ٢٦٥٧/ح ٦٨٥٥/باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الله تعالى واجعلنا للمتقين إماما ؛ صحيح مسلم ج ١/ص ٥١/ح ٢٠ / باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، واللفظ للبخاري

(٢) - من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، صحيح البخاري ج ٣/ص ١٢١٩/ح ٣١٦٦٦/باب قول الله عز وجل وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ، صحيح مسلم ج ٢/ص ٧٤١/ح ١٠٦٤/باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

فيعرض عليك سدنة الشرك فيقولون:

إن بني حنيفة يقولون مسيلمة نبي ولذا قاتلهم الصحابة رضي الله عنهم.

فتقول لهم: إذا كان من رفع رجلا كمسيلمة إلى رتبة النبي صلى الله عليه وسلم كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهاداتان ولا الصلاة ، فكيف بمن رفع الولي فلانا أو الصحابي أو النبي إلى مرتبة جبار السموات والأرض ، فيدعوه ويستغيث به ، وينذر ويذبح له ، سبحان الله ما عظم شأنه ﴿

كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ الآية ٥٩ الروم

الوجه الرابع: وكذلك الذين حرقهم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، كما هو ثابت في صحيح البخاري ^(١) ، كلهم يدعون الإسلام وهم من أصحاب علي رضي الله عنه وتعلموا العلم من الصحابة ، ولكنهم اعتقدوا في علي حتى جعلوه إلهًا فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم ؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين ؟ أم تظنون أن الاعتقاد في الولي الفلاني لا يضر ، لكن الاعتقاد في علي يضر ؟

الوجه الخامس: وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿سَخِطُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ

وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ من الآية ٧٤ التوبة ، فقد كفرهم الله بكلمة ، مع كونهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون ، وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ

وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفُ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ

نُعَذِّبَ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الآيتان ٦٥، ٦٦ التوبة ، فهؤلاء الذين صرح الله

(١) - صحيح البخاري ج ٦/ص ٢٥٣٧ / ح ٦٥٢٤ / باب حكم المرتد والمتردة واستتابتهم ، صحيح البخاري

ج ٣/ص ١٠٩٨ / ح

٢٨٥٤ / باب لا يعذب بعداب الله ، وانظر فتح الباري ج ١٢/ص ٢٧٠

أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزاح.

الوجه السادس : أن هذه الكلمة لاتعصم من قالها إذا جاء بما ينقضها ، فلو قالها ، وسب الله ، أو سب الرسول ، أو سب الدين كفر بالإجماع وإن قالها . فكيف لا يكفر من أتى بالشرك الأكبر .

الوجه السابع : رأيتم لو أن شخصا قد صلى وهو لم يتوضأ ، فهو قد أتى بالصلاة ظاهرا ، وقد أداها أداء صحيحا ، ولكنه لاينتفع بها أبدا ، لأن الطهارة شرط في صحة الصلاة ، وكذلك لو صلى إلى غير القبلة متعمدا ذلك ، أو أنه صلى بثوب نجس مع القدرة على تطهيره ، فلا بد لصحة الصلاة من جميع شروطها وإلا فلا صلاة له ، حتى وإن صلى ، وكذلك كلمة لاإله إلا الله لها شروط، لا بد منها جميعا ، ولها نواقض لا بد من اجتنابها ، وإلا لم ينتفع بها حتى لو قالها بلسانه آلاف المرات ، كما لم ينتفع بها المنافقون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يصلون ويصومون ويحجون ويزكون ، ويأتون بشرائع الإسلام كلها ، فصاروا إلى الدرك الأسفل من النار ، وهم يقولون لاإله إلا الله وبأن محمدا رسول الله .

نخلص من ذلك كله بأن (لا إله إلا الله) ليست كلمة تقال باللسان فقط ، بل هي كلمة تقتضي أموراً عظيمة ، فهي تقتضي اعتقاداً بالقلب ، وعملاً بالجوارح مع قولها باللسان .
 فمن نصح نفسه وأهله وعياله وأراد النجاة من النار فليعرف شهادة أن لا إله إلا الله فإنها العروة الوثقى وكلمة التقوى لا يقبل الله من أحد عملاً إلا بها لا صلاة ولا صوماً ولا حجاً ولا صدقة ولا جميع الأعمال الصالحة إلا بمعرفتها والعمل بها ، وهي كلمة التوحيد وحق الله على العبيد ، فمن أشرك مخلوقاً فيها من ملك مقرب أو نبي مرسل أو ولي أو صحابي وغيره أو صاحب قبر أو جني أو غيره أو استغاث به أو استعان به فيما لا يطلب إلا من الله أو نذر له أو ذبح له أو توكل عليه أو رجاه أو دعاه دعاء استغاثة أو استعانة أو جعله واسطة بينه وبين الله لقضاء حاجته أو لجلب نفع أو كشف ضرر فقد كفر كفر عباد الأصنام القائلين ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ من الآية ٣ الزمر ،

القائلين ﴿ هَتُؤَلَاءِ شُفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ من الآية ١٨ يونس ، كما ذكر الله عنهم في كتابه وهم مخلدون في النار وإن صاموا وصلوا و عملوا بطاعة الله الليل والنهار .

الشبهة السادسة

مسألة العذر بالجهل أو عدم القصد

الحمد لله الذي اصطفى لصفوته من عباده عصابة الموحدين ، ووثقهم من أسبابه بعروته الوثقى وحبله المتين فلم يزالوا للحق ناظرين ، وبه ظاهرين ، ولله ولرسوله ناصرين ، وللباطل وأهله دامغين ، إلى أن انفجر فجر الإيمان وأشرق ضوءه للعالمين ، وخسف قمر البهتان ، وأضحى كوكبه من الآفلين ، ذلك صنع الذي أتقن كل شيء ، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ، أحمدده على ما أولى من مننه ، وأسبغ من جزيل نعمه ، حمدا تكل عن حصره ألسنة الحاصرين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة مبوءة لقائلها جنة الفوز والعقبى في يوم الدين ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله إلى الكافة أجمعين ، فأوضح بنوره سبل السالكين ، وشاد بهدايته أركان الدين ، صلى الله عليه وعلى آله أجمعين أما بعد

هاهنا مسألة كبرى ، وهي من الشبه التي يتشبه بها كثير من الناس ، ألا وهي مسألة العذر بالجهل

فإذا سأل سائل فقال ، إن أبي قد مات وهو يدعو الأموات وينذر لهم ، فهل يجوز لي الدعاء له أو الحج عنه؟

فتقول له لقد نهاك الله عن ذلك بقوله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ الآية ١١٣ التوبة .

فيقول هذا القائل إن قريبي أو والدي كان يفعل ذلك ، وهو جاهل بكل ماتقوله ، فكيف تمنعني أن أدعوا له ، أو أن أستغفر له ؟ فالله أرحم الراحمين ، وأكرم الأكرمين ، وليس أحد أحب إليه العذر من الله ، وهو إن شاء الله سوف يعذرهم لجهلهم بذلك

. وكذلك هؤلاء الذين يعملون هذه الأعمال بغير علم ، بسبب تضليل العلماء لهم ، وبسبب البيئة المحيطة بهم ، سوف يعذرهم أن شاء الله بسبب جهلهم .

والجواب عن ذلك فيه التفصيل الآتي :

أولاً: إن الذي حرم عليك هذا هو الله كما مر في الآية السابقة فلا بد من السمع والطاعة لله رب العالمين.

ثانياً: لا بد أن نستحضر أمراً مهماً وهو أن هذا الدين ، قد جمع بين العربي وبين العجمي ، فترى هذا من الهند أو من باكستان ، وهذا من الفلبين ، وهذا من الصين ، وهذا أسود ، وهذا أبيض ، يجمعهم رباط واحد هو رباط الدين ، وهذا الرباط جعله هذا الدين الأساس الذي يجب أن تنبني عليه جميع العلاقات . فأخوة الدين مقدمة على أخوة النسب ، بل هي مقدمة على كل قرابة تخالفك في دين الإسلام حتى ولو كانت هذه القرابة قرابة الأب أو الأم أو الابن والأدلة على ذلك كثيرة منها :

أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام إمام ملة التوحيد قد تبرأ من أبيه بعد أن تبين له عدواته لله فقد قال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ۗ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ ﴾ الآية ٤ سورة الممتحنة.

ففي هذه الآية بيان بأن البراءة من الكفار تقتضي عدم الاستغفار لهم . أما استثناء إبراهيم عليه الصلاة والسلام من ذلك فإنما كان ذلك في حياة أبيه ، وقد بين الله ذلك في سورة التوبة ، فقد قال سبحانه : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝ ﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنِ

مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ الْآيَاتَانِ ١١٣-١١٤ التوبة ، وقد ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى عن أمة التفسير كابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، وقتادة ومجاهد وغيرهم أن إبراهيم كان يستغفر لأبيه في حياته فلما مات على الكفر تبرأ منه (١) .

وهاهو نوح عليه الصلاة والسلام أب الأنبياء عندما هلك ابنه غريقاً: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطِكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ﴿٤٦﴾ الْآيَاتَانِ ٤٥-٤٦ هود

ثم هاهو رسول الله صلى الله عليه وسلم مع والديه ، فقد جاء في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه (أن رجلاً قال يا رسول الله أين أبي قال في النار فلما قفى دعاه فقال إن أبي وأباك في النار) (٢)

ولما قال سبحانه مخاطباً نبيه: بقوله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ ﴿١١٣﴾ الْآيَةُ ١١٣ التوبة .

جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي (٣)

(١) - انظر تفسير بن كثير ٢/ص ٣٧٧

(٢) - صحيح مسلم ج ١/ص ١٩١/ح ٢٠٣/باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعاة ولا تنفعه قرابة المقربين

(٣) - صحيح مسلم ج ٢/ص ٦٧١/ح ٩٧٦/باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في زيارة قبر أمه

فنخلص من ذلك كله بأن المعيار هو الدين فالإيمان بالله يقتضي منك أن توالي أهل التوحيد وتحبهم مهما كان جنسهم أو لونهم ، ومهما بعدوا ، والكفر بالطاغوت يقتضي منك أن تبغض أهل الشرك وتعاديهم مهما كان لونهم أو جنسهم ومهما قربوا ، أبا أو أما أو ابنا أو أخا ، وقد أمرك الله بذلك في آيات كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿ يَتَّخِذُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ من الآية ١ الممتحنة .

وقوله تعالى : ﴿ يَتَّخِذُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ءَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ الآية ٢٣ التوبة .

وقوله سبحانه : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءِآبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ الآية ٢٢ المجادلة .

ثالثاً: العذر بالجهل له جهتان من حيث الأحكام المتعلقة به : فالجهة الأولى هي الأحكام المتعلقة ذلك في الدنيا، والجهة الثانية ، الأحكام المتعلقة بذلك في الآخرة .
أما الأحكام المتعلقة بالآخرة فهذه تتعلق بالبواطن ، وبواطن الأمور لا يعلمها إلا الله ، أما الأحكام المتعلقة بالدنيا فإننا نقيمها على الظواهر .
وأوضح لك ذلك بالمثال

شخص تم القبض عليه متلبساً بالجرم ، وليس عنده بينة تثبت دعواه بالبراءة ، فإن القاضي يحكم عليه بالعقوبة المناسبة لجريمته ، رغم وجود الاحتمال بأنه بريء ، هذا هو الحكم في الدنيا ، أما احتمال كونه بريئاً فهذا أمر يتعلق بالبواطن ، وهذا أمره إلى الله ، ولن يلوم أحد هذا القاضي على هذا الحكم لأنه قد أصدره بناء على ما اتضح له من البيّنات .

ومما يدل ذلك ما جاء في الصحيحين: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع منه ، فمن قطعت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه وإنما أقطع له به قطعة من النار)^(١)
وجه الاستدلال: أن الحاكم يحكم بحسب ما يظهر له ، رغم أن حكمه قد يخالف الصواب ، وحساب المتخاصمين على الله يوم القيامة .

مثال آخر:

لو رأيت شخصاً يسرق ، فإنك سوف تقول هذا سارق ، وربما لا يكون كذلك ، ولكنك إنما أسميته بهذا الاسم، لأنه فعل فعلاً يدل عليه.

(١) - من حديث أم سلمة رضي الله عنها صحيح البخاري ج ٢/ص ٩٥٢/ح ٢٥٣٤/باب من أقام البينة بعد اليمين ، صحيح مسلم ج ٣/ص ١٣٣٧/ح ١٧١٣/باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة

والآن لنطبق ذلك على موضوع حديثنا

فهذا الشخص الذي ، يعمل هذه الأعمال الشركية ، حكمه ، أنه مشرك شركا أكبر تنطبق عليه أحكام المشرك في الدنيا ، ولو مات على ذلك فإنه لا يصلى عليه ولا يستغفر له ولا يورث إلى غير ذلك من الأحكام التي تتعلق بالكفر ؛ لأنه مات مشركا ، فالشرك من الأمور الظاهرة المعلومة بالضرورة من دين الإسلام فلا يجوز لأحد أن يتردد في إطلاق هذا الحكم على من مات وهو يفعل أفعال الشرك.

أما السؤال الذي قد يعترض به على هذا القول وهو : كيف تحكم عليه بالكفر وأنت لاتعلم هل قامت الحجة عليه أو لا ، وأنه قد يكون معذورا بجهله ؟ فنقول هاهنا موضعان هما محل إجماع بين أهل العلم :

الموضع الأول : أنه لا خلاف بين أهل العلم على أن من وقع في الشرك من أهل الفترات الذين هم في غياب عن الشرائع ، وفي طموس السبل فهو مشرك ، لنقضه حجة الميثاق والفطرة ، وأن العقل حجة على هذا ، وإنما الخلاف وقع في تعذيبهم ، فالإجماع منعقد على أن أهل الفترة (أي من كان قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم) هم مشركون كفار ، وإنما وقع الخلاف في : هل يستحقون العذاب أم لا بد أن يمتحنون قبل ذلك (١)

(١) - ولعل أصح الأقوال فيهم مارجحه الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى بأنهم يختبرون يوم القيامة فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار ، لما أخرجه الإمام أحمد وغيره بإسناد صحيح من حديث الأسود بن سريع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أربعة يحتجون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئا ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فترة فأما الأصم فيقول رب قد جاء الإسلام وما أسمع شيئا وأما الأحمق فيقول رب قد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبر وأما الهرم فيقول رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئا وأما الذي مات في الفترة فيقول رب ما أتاني لك رسول فإخذ موثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما ، وفي لفظ آخر أن الله تبارك وتعالى يقول لعنق من النار أبرز ويقول لهم إني كنت أبعث إلى عبادي رسلا من أنفسهم وإني رسول نفسي إليكم أدخلوا هذه قال فيقول من كتب عليه الشقاء يا رب أنى ندخلها ومنها كنا نفر قال ومن كتب عليه السعادة يمضي فيقتحم فيها مسرعا قال فيقول الله تعالى أنتم لرسلي أشد تكديبا ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار

ونصوص العلماء في هذا كثيرة في أهل الفترات الذين لم تقم عليهم حجة البلاغ ، وفي وقت فترت فيه الرسالات ، وطمست فيه السبل ، وانتشر الجهل ، وتنسخ العلم ، ولم يكن ثم كتاب سماوي يرجعون إليه ، أو منتصب للتوحيد يعلموا منه ، ومع هذا اتفق العلماء عن بكرة أبيهم على أنهم مشركون فكيف بمن فعل الشرك بعد البعثة؟

الموضع الثاني : أن الإجماع منعقد على أن من بلغته رسالة النبي صلى الله عليه وسلم فقد قامت عليه الحجة ، وقد نقل الإجماع على ذلك بن القيم رحمه الله تعالى عند كلامه عن الطبقة الرابعة عشره في كتابه طريق الهجرتين ^(١) .

ونقل الإجماع على ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، ونص قوله: " الذي نعتقده وندين الله به ونرجو أن يثبتنا عليه أنه لو غلط هو ^(٢) أو أجل منه في هذه المسألة وهي مسألة المسلم إذا أشرك بالله بعد بلوغ الحجة أو المسلم الذي يفضل هذا على الموحدين أو يزعم أنه على حق أو غير ذلك من الكفر الصريح الظاهر الذي بينه الله ورسوله وبينه علماء الأمة أنا نؤمن بما جاءنا عن الله وعن رسوله من تكفيره ولو غلط من غلط فكيف والحمد لله ونحن لا نعلم عن واحد من العلماء خلافاً في هذه المسألة ؟ وإنما يلجأ من شاق فيها إلى حجة فرعون ﴿ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾ من الآية ٥١ طه ، أو حجة قريش ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْأُمَّةِ الْأَخْرَى ﴾ من الآية ٧ ص " ^(٣) .

(١) - انظر طريق الهجرتين/٦٨٥ فما بعدها

(٢) - يقصد شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى

(٣) - مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٦/٢٠٣-٢٠٤ ، من كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد

ونقل الإجماع على ذلك الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى في شرحه للأصول الثلاثة ونفى وجود خلاف في ذلك ، ونص قوله : "من بلغه الكتاب والسنة لا يعذر ، وليست المسألة خلافية" (١) وقال رحمه الله تعالى: "أمور التوحيد ليس فيها عذر مادام موجودا بين المسلمين ويسمع قال الله وقال رسوله ولا يبالي ولا يلتفت ويعبد القبور ويستغيث بها أو يسب الدين فهذا كافر يكفر بعينه كقولك فلان كافر" أه (٢)

وقد قال سبحانه: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ من الآية ١٥ الإسراء والرسول قد بعث وبلغ أتم البلاغ .

وقد قال الله في كتابه: ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ من الآية ٥٢ إبراهيم ، وقال سبحانه: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِءٍ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ من الآية ١٩ الأنعام

وقال عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي أو نصراني ثم لا يؤمن بالذي جئت به إلا كان من أصحاب النار) (٣)

فجعل مجرد سماع رسالته موجبا لدخول النار

وإذا كان الله قد منع نبيه صلى الله عليه وسلم من أن يستغفر لأمه وهي قد ماتت في الفترة ، أي قبل البعثة ، فكيف تستغفر لمن مات مشركا بالله ، وهو يسمع قال الله ، وقال رسول الله ، فلا يلقي لذلك بالا ؟

(١) - من شرحه لكشف الشبهات / الشريط الأول / الوجه الأول / تسجيلات البريد الإسلامية

(٢) - انظر كتاب الدعوة / الفتاوى ج ٣ / ٩-١٠

(٣) - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه صحيح مسلم ج ١ / ص ١٣٤ / ح ١٥٣ / باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته

إن الشك في كفر من مات وهو يفعل الشرك الأكبر ، كالشك في كفر اليهود والنصارى وهذا من نواقض الإسلام العشرة التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى والجهل بحد ذاته ، ليس عذرا لأن الله قد مكّنه بالسمع والبصر والعقل فهم مكلفون بملكون آلة التكليف ، ولكنهم يأبون استعمالها فانطبق عليهم قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَغْفُلُونَ ﴾ الآية ١٧٩ الأعراف ، وقال سبحانه في مشركي قريش: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ الآية ٤٤ الفرقان

فإذا جئت لهم ، وبينت لهم بأن هذه الأفعال من الشرك الأكبر ثم لا يلقون لك بالا ، ويقولون لك هل أنت أعلم من فلان ، أو فلان ، هؤلاء علمائنا يقرون ذلك فكيف تريدون منا أن نأخذ بقولكم هذا ؟ فماذا يمكن أن تفعل مع هؤلاء أكثر من ذلك ؟ وقد قال سبحانه في أمثالهم

وقال سبحانه: ﴿ يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ وقالوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿ رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ الآية ٦٦-٦٨ الأحزاب .

وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الْإِيلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ

أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣١﴾ من الآيات ٣١-٣٣ سبأ .

فإن قال قائل بأنه لا بد من وجود قصد الكفر حتى نحكم على شخص بعينه أنه قد كفر

فيقال له بأن هذا القول قول معلوم الفساد بالضرورة من الدين فإن شرط القصد فيه تفصيل

فالقصد شرط معتبر للتكفير فيمن أتى بفعل محرم دون الكفر أو الشرك كشرب الخمر ، والزنا ، وكالحكم بغير ما أنزل الله ، فإن القصد في مثل هذه الأعمال معتبر ، فلو شرب الخمر مستحلاً لها كفر ، وكذا الزنا ، ومن حكم بغير ما أنزل الله معتقداً أنه أفضل أو مثل الحكم بما أنزل الله ، أو أنه لا يتناسب مع هذا العصر فإنه يكفر ، فلا يجوز إطلاق الكفر المخرج من الملة على من يعمل معصية فيما دون الشرك أو الكفر إلا بمعرفة قصده حين ارتكب هذه المعصية ، وبناء على ذلك فلا يجوز إطلاق الكفر على من يأتي بالمعصية فيما دون الشرك إلا إذا صرح بلسانه ، أو عرفنا ما في قلبه من اعتقاد

وبالمقابل فإن القصد لا يعتبر إذا كان الفاعل قد أتى بفعل من أفعال الكفر الظاهرة مثل الاستهزاء بالدين ، أو صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله ، أو صرح بأن الحكم بغير ما أنزل الله أفضل من حكم الله ، فإنه يحكم بكفره بمجرد هذا الفعل أو القول وإن لم يقصد الكفر . وقد دل الكتاب والسنة على أن القصد ليس بشرط في مثل ذلك :

فمن الكتاب :

١- قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ

وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿٦٦﴾ الآية (١)

(١) - من الآيات ٦٥-٦٦ سورة التوبة

وجه الاستدلال: أنها دلت على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتوا كفرا بل ظنوا ذلك ليس بكفر ، فهم قالوا بأنا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له - فهم عندما اعتذروا ظنوا أن الكفر هو أن يقال على سبيل الجد ، والشرع لم يكذبهم في ادعائهم الخوض واللعب دون الجد والقصد ، ولكن أخبرهم الشرع أنهم بهذه الحالة من القول مع الخوض واللعب كفروا به بعد إيمانهم ، ولم يعتبر جهلهم وعدم قصدهم الكفر.

٢- وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ^ط وَنَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ^ج إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ (١)

٣- وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٤﴾ (٢)

وجه الاستدلال من الآيتين: أن أكثر أهل الضلال من الكفار وغيرهم من أهل الضلال يأتون الكفر والضلال وهم يعتقدون أنه الحق ، فلم يعذرهم الله بذلك ، قال بن كثير رحمه الله تعالى في تفسير الآية الأخيرة: "أي يعتقدون أنهم على شيء وأنهم مقبولون محبوبون" (٣) ، وقال : "وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، وغير واحد هم الحرورية" (٤)

٤- وقوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ^ط إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٥﴾ (٥)

(١) - الآية ١٨ سورة المجادلة

(٢) - الآيتان ١٠٣ ، ١٠٤ سورة الكهف

(٣) - تفسير ابن كثير ج ٣/ص ١٠٨

(٤) - ابن كثير ج ٣/ص ١٠٨ ؛ وأخرجه المستدرک علی الصحیحین من قولی علي رضي الله تعالى عنه ج ٢/ص ٣٨٣/ر ٣٣٤٢ ،

وقال : "هذا حديث صحيح"

(٥) - الآية ٣٠ سورة الأعراف

وجه الاستدلال من الآية : أنه لافرق بين -الكافر الذي يعتقد أنه في دينه على الحق- وبين الجاحد ، أوالمعاند ؛ لأنه إذا لم يعذر الضال ، مع اعتقاده أنه على الحق فلأن لايعذر المعاند ، أو الجاحد من باب أولى . فهم سواء في الحكم ، قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية : {وهذا من أبين الدلالة على خطأ من زعم أن الله لايعذب أحدا على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها فيركبها عنادا منه لربه فيه ، لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضل وهو يحسب أنه هاد ، وفريق الهدى فرق ، وقد فرق الله تعالى بين أسمائهما وأحكامهما في هذه الآية }^(١)

ومن السنة :

حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : {سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب }^(٢) ، وفي لفظ: { إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفع الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوى بها في جهنم }^(٣)

وجه الاستدلال : أن قوله : "مايتبين فيها"، وقوله "لايلقي بها بالا" دليل على عدم اعتبار القصد . قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى : " وبالجملة فمن قال أو فعل ما هو كفر كفر بذلك وإن لم يقصد أن يكون كافرا ، إذ لايقصد الكفر أحد إلا ما شاء الله " ^(٤) ونخلص من ذلك بأنه لاعذر لأحد بالجهل ، أو بعدم القصد في مسألة التوحيد فمن جاء بناقض من نواقض الإسلام حكمنا بكفره ورتبنا جميع أحكام الكفر عليه في الدنيا ، أما الآخرة فهذا ليس إلينا بل هو إلى الله .

(١) - انظر تفسير ابن كثير ج ٢/ص ٢١٠

(٢) - صحيح البخاري ج ٥/ص ٢٣٧٧/ح ٦١١٢/باب حفظ اللسان ؛ صحيح مسلم ج ٤/ص ٢٢٩٠/ح ٢٩٨٨/باب التكلم

بالكلمة يهوى بها في النار ، وفي نسخة باب حفظ اللسان ، واللفظ لمسلم

(٣) - صحيح البخاري ج ٥/ص ٢٣٧٧/ح ٦١١٣/باب حفظ اللسان

(٤) - انظر الصارم المسلول ص ١٥٤

فالتوقف أو الشك في كفر من فعل الكفر بحجة العذر بالجهل أو أنه لا يقصد الكفر فيه إبطال لجميع أحكام الردة عن الإسلام ، فترى من يفعل الكفر الأكبر ، ويقول الكفر الأكبر ثم تقول لعله لم تقم عليه الحجة ، لعله لم يفهم وهذا أمر واضح البطلان.

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف ندعو إلى التوحيد ونبذ الشرك ؟

الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافيء مزيده والصلاة والسلام على سيدنا محمد ذي المناقب الحميدة وعلى آله وأصحابه ما دار الزمان بسيطه ومديده
أما بعد

فبعد أن تم الحديث عن شبهات المشركين والرد عليها ، فهاهو دورك قد ابتداء ، في الدعوة إلى هذا التوحيد أينما كنتم . فإن الدعوة إلى التوحيد هي أعظم دعوة ، يمكن لأحد أن يدعو إليها ، فهي دعوة الرسل من قبلك ، فحسبك فخرا أن تقتدي بهم في ذلك ، إنها الدعوة المباركة ، التي سوف ترى من آثار بركاتها عليك وعلى من تبعك في ذلك ، في الدنيا وفي الآخرة ، وقد جمعت لك في هذا الكتاب ، -والكتاب الآخر- ^(١) كل ما يحتاجه الداعي إلى التوحيد ونبذ الشرك ، فهي سلاح لك ضد أعدائك من المشركين ، وهي أيضا حصن لك تتحصن به ضد شبهاتهم ، فمن عقل ذلك وفهمه ثم حفظه وعمل بما يقتضيه ثم دعا إليه فقد فاز بحظي الدنيا والآخرة .

فلا بد من البراءة من الشرك وأهله ، ولو كان هذا المشرك أبوك أو أخوك أو ابنك ، وإذا مات أحد منهم على شركه فليس لك أن تصلي عليه أو تستغفر له لأنه مات مشركا بالله تعالى ، والله سبحانه قد حرم على رسوله وعلى المؤمنين أن يدعو لهؤلاء المشركين بالمغفرة مهما كانت قرابتهم

فقال سبحانه : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ

قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ الآية ١١٣ التوبة

ولعل البعض قد يقول إن مات قوله حق ، ونحن نفهم هذا ونشهد أنه الحق ، ولكننا لانقدر على أن نفعله ، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا ما وافقهم أو غير ذلك من الأعذار ، ولم يدر هذا المسكين

(١) - وهو المنهاج السديد في بيان الشرك والبدعة والتوحيد

وأمثاله ، بأن غالب أمة الكفر يعرفون الحق ، ولم يتركوه إلا لشيء من العذر كما قال تعالى عن اليهود ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٧٦﴾ ومع ذلك لم يتبعوا الحق بعد أن عرفوه ، لماذا ؟ لأنهم اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتُرُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾

(ومن ذلك أيضا ما قد جاء في الصحيحين عندما جاءت رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل الروم ثم سأل أبا سفيان عنه وعن أوصافه ثم قال إن يك ما تقول فيه حقا فإنه نبي وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أك أظنه منكم ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه وليبلغن ملكه ما تحت قدمي ، ثم دعا هرقل عظماء الروم فجمعهم في دار له فقال يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد آخر الأبد وأن يثبت لكم ملككم . قال فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت فقال علي بهم فدعا بهم فقال إني إنما اخترت شدتكم على دينكم فقد رأيت منكم الذي أحببت فسجدوا له ورضوا عنه) ^(١)

ريح ملكه في الدنيا وخسر الآخرة وباء بإثمهم وإثم قومه عياذا بالله
وأمثال هذا كثير ، فترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا ، أو جاه ، أو مداراة لأحد ، وترى من يعمل به ظاهرا لا باطنا ، فإذا سألته عما يعتقد به بقلبه فإذا هو لا يعرفه فهذا الذي يعمل بالتوحيد عملا ظاهرا ، وهو لا يفهمه ولا يعتقد به بقلبه فهو منافق وهو شر من الكافر الخالص وهذه المسألة كبيرة وطويلة ، تتبين لك ، إذا تأملت في ألسنة الناس ، ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله:

(١) - من حديث ابن عباس رضي الله عنهما صحيح البخاري ج ١/ص ٧٧/ح ٧٧/ باب بدء الوحي

أولاهما قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفُ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ الآيتان ٦٥، ٦٦ التوبة ، فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزاح.

فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزاح واللعب ، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر ويعمل به خوفاً من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحد أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها .

الآية الثانية قوله تعالى ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ الآيتان ١٠٦ ، ١٠٧ النحل .

فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان ، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه ، سواء فعله خوفاً أو مداراة أو مشحة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله ، أو فعله على وجه المزاح أو المجاملة ، أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكره /والآية تدل على هذا من وجهين :

الوجه الأول: قوله: (إلا من أكره) فلم يستثن الله تعالى إلا المكره ، ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام والفعل ، وأما عقيدة القلب فلا يُكره عليها أحد.

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى : " ومعلوم أنه لم يرد بالكفر هنا اعتقاد القلب فقط ، ولم يرد من قال واعتقد ؛ لأنه استثنى المكره ، والمكره لا يكره على العقد والقول وإنما يكره على القول فقط ، فَعُلم أنه أراد من تكلم بكلمة الكفر فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم وأنه كافر بذلك إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان" (١) .

الوجه الثاني: قوله تعالى (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة)

فصرح بأن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل والبغض للدين ومحبة الكفر كلا ، وإنما سببه أن له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا فأثره على الدين.

ولقائل أن يقول ماهو المطلوب مني كي تبرأ ذمتي ممن حولي ، وأنجو بديني من كل ذلك ؟

هل أقوم بقتل المشركين بعد أن أقيم عليهم الحجة مادام أن دمائهم وأموالهم قد حلت للمسلمين بسبب شركهم ؟ هل أقوم بهدم تلك المساجد التي أنشئت على القبور حتى ولو بتفجيرها ؟ هل أقوم بقتل هؤلاء العلماء الذين يقرون هذا الشرك ويقومون بتشجيعه ؟ فيقال له : كلا ، لست مطالبا بأي شيء من ذلك ، وليس لك أن تقتل ، ولا أن تهدم ، بل إن فعل ذلك يكون خطئا بينا.

وليكن قدوتك في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي مكث عشر سنين يدعوا إلى شهادة لا إله إلا الله ، فلم يبدأ بكسر الأصنام ولا بقتل كفار قريش ورؤسائهم ، بل ضل يدعو إلى شهادة التوحيد رغم انتشار مظاهر الكفر من حوله . وقد قال سبحانه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٠٨ ﴾

(١) - انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول / ط المكتب الإسلامي ص ٥٢٤

الْمُشْرِكِينَ ﴿١٨﴾ الآية ١٠٨ سورة يوسف ، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ

حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ الآية ٢١ الأحزاب .

فالواجب عليك إذا هو أن تدعو ، ثم تدعو ، ثم تدعوا ، تبدأ بنفسك ثم بأهلك ثم بمن حولك ، فمن أطاعك فهو المسلم الذي يجب عليك أن تواليه وتناصره ، ومن عصاك وأصر على شركه ، فهو الكافر الذي يجب عليك أن تبغضه وتعاديه ، ويجب عليك أن تعتزل المشركين ومساجدهم ، حتى لو أدى ذلك إلى أن تصلي في بيتك إذا لم تجد أحدا معك .

فإن وجدت في نفسك قوة ، ومقدرة على تحمل الأذى في الدعوة إلى الله ، فعليك ببيان ذلك لرؤسائهم وعلمائهم ، وعليك بدعوة ولاة الأمر في بلدك من ملك أو رئيس أو أمير ، ويكون ذلك كله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعليك أن تستخدم جميع وسائل الإعلام التي يمكن أن تتاح لك في بيان تلك الدعوة ، ونشرها بين الناس .

بسم الله الرحمن الرحيم

اختبار الأصول الثلاثة

وشبهة الاتكال على رحمة الله من غير عمل

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، و الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، الأول الآخر الظاهر الباطن الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ، أرسله بالحق بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

أما بعد ،

ما رأيك لو أن مدرسة قامت بتوزيع أسئلة الاختبار النهائي لجميع المواد الدراسية قبل مواعده بأيام ، ولم تكتف بذلك ، بل قامت بتحديد إجابة كل سؤال من تلك الأسئلة في الكتب المدرسية المقررة، ثم يأتي الاختبار ، ويختبر الطلاب ، ثم تجد وباللعجب أن كثيرا من الطلاب قد أخفق في تجاوز الاختبار ، بل كان سقوط بعضهم ذريعا ، فقد رسب في جميع المواد .
فهاهنا قضية ، وهاهنا سؤال

فأما القضية فهي شأن هؤلاء الطلاب الذين أخفقوا في تجاوز الاختبار فالأسئلة معروفة مسبقا ، والأجوبة كذلك ، فلم يكن ينقص هؤلاء الطلاب سوى فتح الكتاب وحفظ الجواب المحدد في السؤال ، بل قد يكفي أن يطلع عليه فحسب، ومع هذا كله لم يفعل ويرسب في

الامتحان ، تلك هي القضية ، أما السؤال فهو ، من الذي يتحمل وزر هذا الإخفاق من قبل أولئك الطلاب؟

الجواب واضح ، هم أنفسهم يتحملون ذلك ، واللوم كله يقع عليهم ، ومهما برروا فلا يمكن قبول تبريراتهم ، فماذا يريد هؤلاء أكثر من ذلك ، فأسئلة الاختبار قد حددت ، والأجوبة كذلك ، ثم يخفق ،

أما المدرسة فهي هذه الحياة ، أما هؤلاء الطلاب فهم نحن ، أما الاختبار فهو في ثلاثة أسئلة هي

من ربك؟ من نبيك؟ ما هو دينك؟

أما الشهادة فهي جواز المرور، إما إلى الجنة وإما إلى النار.

لو سألت أحد عن جواب تلك الأسئلة لأجاب عنها سريعا ، فبادرك قائلا ربي الله ، ونبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وديني الإسلام .

الكلام دوما من أسهل ما يكون ، ورغم ذلك فإنه لو كشفت لنا الستور ، فرأينا أصحاب القبور بعد أن أدخلوا في قبورهم ، ثم طرحت عليهم تلك الأسئلة الثلاثة ، فسوف تجد بأن الكثير والكثير منهم لا يحير جوابا ، فبعضهم يقول هاه لا أدري ، وبعضهم يقول سمعت الناس يقولون شيئا فقلته ، هناك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيجيبوا عن تلك الأسئلة ، وهناك يضل الله الظالمين فلا يملكون جوابا يجتازون به ذلك الامتحان

فإن هذا الاختبار قسمان ، قسم تحريري عملي وقسم شفوي ، فإذا تجاوز الشخص الاختبار العملي فقد أفلح ونجح وسوف يعان على تجاوز الاختبار الشفوي ، ومن أخفق في الاختبار العملي أخفق في الشفوي ولا بد ، فمن جد وذاكر نجح ، ومن لعب وأهمل خاب وخسر .

فمن ربك ؟ جوابه بأن تعلم بأنه لا إله إلا الله ، فتعبد الله وحده ولا تشرك به شيئاً فلا تصرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله لادعاء ولا خوفاً ولا نذراً ولا طوافاً ولا غير ذلك .
ومن جوابه أيضاً أن تصرف جميع أنواع العبادة لله وحده ، ومن جوابه أيضاً أن تكفر بالطاغوت ، فالإيمان بالله يقتضي منك أن توالي أهل التوحيد وتحبهم مهما كان جنسهم أو لونهم ، ومهما بعدوا ، والكفر بالطاغوت يقتضي منك أن تبغض أهل الشرك وتعاديتهم مهما كان لونهم أو جنسهم ومهما قربوا ، أبا أو أما أو ابناً أو أخاً

ومن جواب السؤال أيضاً أن تقر بأنه المالك الخالق المدبر له الأسماء الحسنی والصفات العلی ليس كمثل شيء وهو السميع البصير فلا تلحد في أسمائه ولا صفاته ولا تنفي شيئاً أثبتته لنفسه ، ولا تثبت شيئاً نفاه عن نفسه ولا تمثل ولا تحرف ولا تشبه فهو ليس كمثل شيء ، والله الأسماء الحسنی فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون

وجواب من نبيك؟ يكون بأن تصدقه في كل ما أخبر به و تطيعه في كل ما أمر به وتنتهي عن كل مانهى عنه وزجر، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ من الآية ٧ الحشر

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ الآية ٦٥ النساء

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا ﴾ الآية ٣٦ الأحزاب

وقال سبحانه ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الآية ٥١ النور

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ الآية ٣١ آل عمران ، فستيع ولا تتبدع لأن كل بدعة ضلالة

وجواب مادينك ؟ بأن تعتقد أن الدين الحق هو الإسلام ومن كان على غير الإسلام فهو من أصحاب النار إذا بلغته رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ثم لم يؤمن بها كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ

يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ الآية ٨٥ آل عمران

، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا

أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ الآية ٦ البينة، وقد قال عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)^(١) .

ومن جوابه أيضا أن تؤدي الأركان الخمسة على بصيرة بأن تعبد الله وحده ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة بأركانها وشروطها وواجباتها فلا تخل بشيء من ذلك ، وكذلك بقية الأركان من زكاة وحج وصيام .

هذا هو الاختبار وقد أخبرنا مقدما بنتيجته فلم نترك سدى ، بل بعث إلينا رسولا وبين لنا بأن المصير هو الجنة أو النار ، وأوضح لنا ذلك في أتم بيان وأحسنه ، فقد رأينا في كتاب الله ورأينا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، رأينا الحياة الآخرة كأنما نراها عيانا بيانا ، وذكر لنا تفاصيل كل شيء حتى أنك ترى أهل الجنة قد دخلوا الجنة ، وأهل النار قد دخلوا النار وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ، فالقصة معروفة لنا جميعا ، قد عرفنا البداية وقد عرفنا النهاية ، فماذا بعد الحق إلا الضلال .

(١) - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه صحيح مسلم ج ١/ص ١٣٤/ح ١٥٣/ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته

وكما أن النجاح متفاوت فكذلك الفشل يتفاوت ، فهناك من يفشل فشلا ذريعا فهو في الدرك الأسفل من النار ، وهناك من فشله أقل ، فأقل أهل النار عذابا من ينتعل نعلين يغلي منهما دماغه ما يظن أن أحدا اشد منه عذابا وإنه لأهونهم ^(١) ، وكذلك الفوز والنجاح كما في الدنيا فهناك من ينجح بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف فيدخل الجنة بلا حساب وأعلا الناس منازل يوم القيامة هم الأنبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون ، فأقلهم منزلة من له عشر أمثال الدنيا ، وتفاضل من فوقه في الدرجات كما أخبر الصادق المصدوق كما بين الكواكب ^(٢) ، بل كما بين السماء والأرض وهناك مئة درجة بين كل درجة وأخرى كما بين السماء والأرض ^(٣) ، والدرجة الواحدة منها تسع العالمين كلهم .

، وهل تعلم كم بين الكواكب في المقياس الفلكي لهذا العصر ، إنهم يتحدثون عن آلاف الملايين من السنين الضوئية بين كوكب وكوكب ، وبين مجرة ومجرة ، ، فما بالك بما بين السماء والأرض ، بل

فما بالك بجنة عرضها ، عرضها فقط كعرض السموات والأرض ، ألا تقر معي أننا في واد وهذا الاختبار في واد آخر ، فأين نحن من تلك الجنة ؟ وأين نحن من تلك النار ؟

(١) - من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه صحيح مسلم ج ١/ص ١٩٥ / ح ٢١١ / باب أهون أهل النار عذابا ، ونص الحديث "إن أدنى أهل النار عذابا ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه"

(٢) - من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه صحيح البخاري ج ٣/ص ١١٨٨ / ح ٣٠٨٣ / باب صفة أبواب الجنة

(٣) - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه صحيح البخاري ج ٣/ص ١٠٢٨ / ح ٢٦٣٧ / باب درجات المجاهدين في سبيل الله

إن الاختبار قريب جدا، يمكن أن يقام في أي لحظة ولم نستعد بعد: ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ ﴿١﴾ الآية ١ الأنبياء . يوم الاختبار هو يوم تموت فماذا أعددت لذلك ، هل أحد منا يشك في ذلك ، فأصدق القائلين يقسم لنا بنفسه: ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ ﴿١١﴾ الآية ٢٣ الذاريات ، ويقول سبحانه: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِن وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ ﴿١٣﴾ الآية ٥ فاطر ، والغرور هو الشيطان ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ﴿١٤﴾ الآية ١٢٠ النساء

فكم من شخص قد غرته الأمانى ، يسيء ويتمنى على الله الأمانى ، فيقولون للمؤمنين يوم القيامة: ﴿ يَنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ ﴿١٥﴾ الآية ١٤ الحديد ، وقد قال عليه الصلاة والسلام (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى) (١)

فإن قال قائل ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين: (لن يدخل أحدا عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة) (٢) وعلى هذا فالعمل ليس مهما بل المهم هو رحمة الله !

فتقول له نعم المهم هو رحمة الله ، ولكن كيف تصل إلى رحمة الله ؟ ومن الذي يستحق رحمة الله ؟

(١) - من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه المستدرک على الصحيحين ج ١/ص ١٢٥/ح ١٩١ ، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه" ، قال الذهبي في التلخيص: " لا والله أبو بكر واه" ، سنن الترمذي ج ٤/ص ٦٣٨/ح ٢٤٥٩ ، وقال: "حديث حسن" ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٤/ص ١٢٤/ح ١٧١٦٤

(٢) - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، صحيح البخاري ج ٥/ص ٢١٤٧/ح ٥٣٤٩ / باب نهي تمني المريض الموت

فهاك الجواب من الله سبحانه :

فقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٥٦﴾ الآية ٥٦ الأعراف.

وقال سبحانه: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ ﴿٧٧﴾ من الآية ٧ غافر.

وقال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٥٦﴾ من الآية ١٥٦ الأعراف.

وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿٧١﴾ الآية ٧١ التوبة .

وقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿١١٩﴾ الآية ١١٩ سورة النحل ،

وقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿١١٠﴾ الآية ١١٠ سورة النحل .

وقال سبحانه ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿١٥٣﴾ الآية ١٥٣ سورة الأعراف.

وقال سبحانه: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ ﴿٨٢﴾ الآية ٨٢ سورة طه.

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ الآيةان ٥٤-٥٥ الأنعام .

ورحمة الله إنما تنال بطاعته كما بين سبحانه في آيات كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ الآية ١٣٢ آل عمران.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ الآية ٥٦ النور.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ

رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ الآية ٢١٨ البقرة ، كل هذه الأعمال ويرجون رحمة الله .

فلا أحد يدخل الجنة بعمله ، وإنما يدخلها برحمة الله ، ولكن العمل هو السبب الموصل إلى هذه الرحمة .

أما المغرورون فهم مع إساءتهم في العمل واثقون من نيل رحمة الله ، فهؤلاء يدعون بذلك أنهم عرفوا شيئاً لم يعرفه السلف .

فلو كانت الجنة تدرك بالمنى وتنال بالهويناء فعلام كان بكاؤهم وخوفهم وحزنهم مع كثرة أعمالهم؟ وقد كانوا يبالغون في التقوى ويحذرون أشد الحذر من الشهوات ومن الشبهات ، ويكون على أنفسهم في الخلوات .

تقول عائشة رضي الله عنها (كما في صحيح ابن حبان) (كان رسول الله في مرض له وكانت عندي ستة دنانير أو سبعة فأمرني رسول الله أن أفرقها قالت فشغلي وجع رسول الله حتى عافاه الله ثم سألتني عنها فقال ما فعلت أكنت فرقت الستة الدنانير فقلت لا والله لقد شغلي وجعك، قالت

فدعا بها فوضعها في كفه فقال ما ظن نبي الله لو لقي الله وهذه عنده) (١) وفي لفظ ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده) (٢)

هذا وهو رسول الله ! فما ظن أصحاب الكبائر والظلمة بالله إذا لقوه قبل أن يتوبوا ، ومظالم العباد على ظهورهم ؟

بل إن الواحد من هؤلاء المغرورين إذا عوتب على الخطايا والإنهماك فيها سرد لك ما يحفظه من سعة رحمة الله ومغفرته ، وبأن الله عز وجل غنى عن عذابه ، وعذابه لا يزيد في ملكه شيئا ، ورحمته له لا تنقص من ملكه شيئا ، فيقول أنا مضطر إلى رحمته ، وهو أغنى الأغنياء ولو أن فقيرا مسكينا مضطرا الى شربة ماء ، عند من في داره شط يجري لما منعه منها . فالله أكرم وأوسع . فالمغفرة لا تنقصه شيئا ، والعقوبة لا تزيد في ملكه شيئا .

فتقول له ، نعم ربنا كما تقول وفوق ماتقول فهو أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ، ولكن لا تنسى أيضا أن من أسمائه الحسنى الحكيم ، فهو أحكم الحاكمين ، وحكمته تأبى أن تسوي بين المطيع والمعاصي .

مثال:

أرأيت لو جاءك طالبان أحدهما لم يكتب في كراسة الاختبار شيئا ، والآخر كتب الإجابة كاملة أو كتب بعضها ، فهل يقول عاقل بالتسوية بينهما ؟ لا يمكن أن يقول ذلك من به مسكة عقل ، فإذا كان المخلوق يُنزّه عن ذلك ، ولو فعله لكان عيبا في حقه ، وصفة نقص يذم عليها ، فالخالق أولى بالتنزيه عن كل عيب ونقص سبحانه . كيف وهو أحكم الحاكمين وأعدل العادلين . فهو الحكم العدل في قضائه وقدره وشرعه وأحكامه قولاً وفعلاً إن ربي على صراط مستقيم ، فلا يحيف في حكمه ولا يجور وماريك بظلام للعبيد ، فهو الذي حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرماً .

(١) - صحيح ابن حبان ج ٨/ص ٩/ح ٣٢١٣ ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٦/ص ١٠٤/ح ٢٤٧٧٧

(٢) - تهذيب الآثار للطبري ج ١/ص ٢٦٣/ح ٤٣٨

هل يستوي هؤلاء وهؤلاء ؟ ، من ظن ذلك فقد أساء الظن بالله ، وقد بين سبحانه بطلان ذلك في آيات كثيرة منها:

قوله سبحانه: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ الآية ٥٨ غافر.

وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا سَحْكُمُونَ ﴾ الآية ٢١ الجاثية.

وقال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَرِيمِينَ ﴾ ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ الآية ٣٥ ، ٣٦ سورة القلم .

وقال سبحانه: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ الآية ٢٨ ص

فمثل من يقول ذلك كمثل من يقول أحصد من غير أن أزرع. فللوصول إلى رحمة الله لا بد من العمل ، فالجنة ليست سهلة المنال ، فلا بد من الابتلاء ولا بد من الصبر عليه وقد بين الله تعالى ذلك في آيات كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَنَشِيرِ الصَّابِرِينَ ﴾

وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَعْبَارَكُمْ ﴾ الآية ٣١ محمد.

وقال سبحانه: ﴿لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾
 الآية ١٨٦ سورة آل عمران.

وقوله تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ الآيتان ٢، ٣ العنكبوت.
 وقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ الآية ٢١٤ البقرة

وقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الْأَصْدِقِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ الآية ١٤٢ آل عمران
 فحسن الظن ينفع من تاب وندم وأقلع وبدل السيئة بالحسنة واستقبل بقية عمره بالخير.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣-٢	المقدمة
١٢-٤	بأي شيء نبدأ بالدعوة إلى الله
١٦-١٣	وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمته قبل وفاته
٢٧-١٧	الرد على شبهة وجود قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد النبوي ، وجعل ذلك حجة في جواز اتخاذ القبور مساجد
٢٤-٢٣	الرد على شبهة جواز بناء المساجد على القبور أخذًا من قصة الفتية في سورة الكهف !
٢٣	الرد على من زعم بأن معنى اتخاذ القبور مساجد هو الصلاة داخل القبر!
٣٣-٢٧	الرد على من زعم استجابة أصحاب القبور لمن دعاهم
٤٣-٣٤	شبهة الشفاعة
٤٩-٤٤	شبهة التوسل
٦١-٥٠	شبهة وجوب الكف عمّن قال لا إله إلا الله ولو عمل ما عمل !
٧٤-٦٢	شبهة العذر بالجهل أو عدم القصد في فعل الشرك الأكبر ، والاحتجاج بإقرار العلماء
٧٩-٧٥	كيف ندعو إلى التوحيد ونبذ الشرك
٩٠-٨٠	شبهة الاتكال على رحمة الله من غير عمل
٩١	فهرس الموضوعات

